

الأعمال الحميدة

في الوصايا الإسلامية

دكتور إسماعيل عبد الفتاح



الدار المصرية اللبنانية

الأفكار البهيمية
في الوصايا الإبراهيمية

الناشر : الدار المصرية اللبنانية

١٦ ش عبد الخالق تروت - القاهرة

تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣

فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ - برقية : دار شادو

ص . ب : ٢٠٢٢ - القاهرة

رقم الإيداع : ٥٣٣٨ / ١٩٩٨

التقييم الدولي : 3- 429 - 270 - 977

جمع وطبع : عربية للطباعة والنشر

العنوان : ٧ - ١٠ شارع السلام - أرض اللواء - المهندسين

تليفون : ٣٢٥٦١٩٨ - ٣٢٥١٠٤٣

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى : عرم ١٤٢٠ هـ - إبريل ١٩٩٩ .

الأغوال البهيمية

في الوصايا الإسلامية

دكتور إسماعيل عبد الفتاح

المنشور
دار المصير رتبة اللبنانية



أما قبل :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الرسول الأمين المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا ونبينا محمد ﷺ ، وبعد :

عندما توقفت أمام حديث قرأته في (كتاب رياض الصالحين) للإمام النووي ، يقول :

قال رسول الله ﷺ : « ماحق امرئ مسلم يبيت ليلتين وله شيء يريد أن يوصي فيه إلا وصيته مكتوبة عند رأسه » (رواه البخاري ومسلم) .

صدق رسول الله ﷺ ، توقفت طويلاً أمام عمرى وقد مضى منه نحو أربعين سنة دون أن أنفذ أهم وصايا رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فهي وصية الوصايا ، ورأس الأمر وأئمن شيء فيه ، فماذا لو قبضت روحى دون أن أنفذ وصية وأمر رسول الله بإعداد وصية ، وقد نمت نحو ١٥ ألف ليلة دون وصية مكتوبة ، يا للهول !!!

لقد أسرعت إلى كتب الفقه ، وتعبت كثيراً وكثيراً حتى وجدت صيغة الوصية الشرعية لكل مسلم ، نعم وجدتها ، ولكن بعد بحث ودأب ، فماذا عن الرجل العادى ؟! المسلم العادى ، الذى لا تتوفر لديه المراجع والكتب الإسلامية فى التوحيد والفقه والحديث والتفسير !! فوجدت لزماً على توصيل هذه الأمانة إلى مختلف المسلمين .

وعندما بدأت في إعداد كتاب عن الوصية الشرعية لكل مسلم، وجدت الأمر أكبر من تفكيرى وتقديرى ، نعم أكبر وأضخم من هذا وذاك ، إن الوصايا في الإسلام إنما هى دعوة ، نعم دعوة الحق ، ودعوة نقل الخبرات والعلم والوعظ والإرشاد والنصيحة والإخلاص ، إنها عالم ساحر من الترغيب والترهيب وبكافة الوسائل والأساليب ، ولكافة الأماكن والعصور .

إن الوصايا الإسلامية جزء من عظمة الإسلام وقوته وديمومته ، إنها صورة من إعجاز الإسلام ، وصورة من أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ، وتبرز هذه الصورة أكثر وضوحاً عندما نرى هادى البشرية ورسول الإنسانية محمد بن عبد الله - عليه أفضل الصلوات وأطيب التسليكات - يهتم بهذه الوصايا وبهذا الجانب اهتماماً خاصاً ، تبرز قمته في خطبة حجة الوداع ، بل ويولى جانب الوصايا والنصح والوعظ اهتماماً خاصاً لتوجيه المسلمين وتعليمهم في كل موقف من مواقف الحياة . وهو ما يدل على بصيرته ، ولم لا ؟ فما هو إلا وحى يوحى ، فآثرت أن أبدأ بهذا الكتاب لتحقيق الاستفادة لأكبر قطاع ممكن من المسلمين بهذه الوصايا الإسلامية الثمينة .

ورأيت أن أضيف لهذه الوصايا الرائعة وصية هامة بتقوى الله - عز وجل - حتى لا يسحقنا غضبه - سبحانه وتعالى - وانتقامه منا - عز وجل - وذلك في الدنيا قبل الآخرة ، بالابتلاء والعقاب والعذاب .

ولذلك جعلت لهذه الوصية مكاناً خاصاً في هذه الدراسة ، لعلها تكون صيحة إنذار وتحذير ، لكل المسلمين ولكافتهم ، حتى يتعظوا مما حدث قبلهم وبما يدور حولهم ، ويتقوا الله حق تقاته ولا يموتن إلا وهم مسلمون حقاً لا قولاً

إن هذه الجولة الرائعة في ثنايا الوصايا الإلهية القرآنية ، والوصايا النبوية المحمدية الشريفة لرسول رب العزة - عليه الصلاة والسلام - ووصايا الخلفاء الراشدين والصحابه - رضوان الله عليهم - ووصايا التابعين - رحمهم الله - والدعاة المعاصرين - حفظهم

الله - لصرخة حق في ثنايا ظلم وجهل عالم اليوم ، ولعل هذه الصرخة ترن في الآذان ،
وتقشعر لها الأبدان ، وتحشع بذكرها القلوب والأبصار ، وتخضع لها الجوارح ، فنذكر
الله كثيرا ، حتى ينصرنا الله في كل آن وحين .

وأترك القارئ الكريم في رحاب هذه الوصايا المباركة ، نفعنا الله بها ...
اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ؛ إنك أنت السميع العليم ، وبالله
التوفيق ، وبه نستعين ، والحمد لله رب العالمين .

الباحث

د / إسماعيل عبد الفتاح

الفصل الأول :

أصول الوصايا الإسلامية

الوصايا في اللغة وفي القرآن الكريم

الوصايا في اللغة:

وَصَّى - لغويا - أى : عهد إليه ، وجعله وصيا يتصرف في أمره وماله وعياله ، ووصى بالشئ فلاناً ، أى : أمره به وفرضه عليه ، ويقال : وصى الناس بكذا وكذا ، والوصية : هى ما يوصى به ، والجمع وصايا ^(١).

وتواصى القوم ، أى : أوصى بعضهم بعضاً ، فالوصية هى العهد، كما يقول ابن منظور في لسان العرب ^(٢) « وصى : أوصى الرجل، ووصاه تعنى : عهد إليه ، كما يقول رؤبة :

وصانى العجاجُ فيما وصنى

وأراد وصانى ، وحذف الألف للقفائية .

وأوصيت له بشئ ، وأوصيت إليه : إذا جعلته وصيك ، فالوصية : ما أوصيت به ، وُسِّمِت وصية لا تصالها بأمر الميت . فالوصية : هى أمر وعهد واجب النفاذ ، سواء أكانت لله - عز وجل - أم لرسوله ، أم لولى الأمر ، أم للرجل فى أهله ، أم للمصاحب مع صاحبه أو جاره .

وجاء الإسلام بمعان جديدة للوصية ؛ لتحقيق العدالة الاجتماعية، وهو حق كل مسلم فى أن يوصى بنصيب من ماله لينفق فى معاونه الفقراء ، وفى المشروعات الخيرية التى يعود نفعها للمجتمع، ولكن لا وصية لوارث ، فهى محرمة على الورثة حتى

(١) المعجم الوسيط ، إدارة التراث الإسلامى بدولة قطر . بدون تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٠٣٨ .
(٢) ابن منظور (لسان العرب) دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ ، ج ٦ ، ص ٤٨٥٣ ، ٤٨٥٤ .

لا يظفر أحدهم بنصييين ، كما منع الإسلام أن تزيد الوصية عن ثلث الثروة ، وجعل الميراث إجباريا فيما لا يقل عن الثلثين .^(١)

النصح والوعظ :

وهما من بعض أوجه الوصية :

فالنصح : هو المشورة ، ونصح فلاناً ، أى : أرشده إلى ما فيه صلاحه ، فهو ناصح ، والجمع نصح ، والناصح : هو الخالص من كل شيء ، كما أن النصح هو إخلاص المشورة ، والنصيحة : قول فيه دعاء إلى صلاح ونهى عن الفساد^(٢).

وبما يؤكد أن النصيحة تعتبر وصية عدة أحاديث شريفة ، فعن أبى رقية تميم بن أوس الدارى - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ قُلْنَا : لِمَنْ؟ قَالَ : لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(٣).

وعَنْ جَبْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضى الله عنه - قال : «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»^(٤).

وعَنْ أَنَسٍ - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ »^(٥).

أما الوعظ فهو نصح وتذكير بالعواقب ، والأمر بالطاعة والتوصية بها ، فالموعظة : هى ما يوعظ به من قول أو فعل أو عمل ، والواعظ : من ينصح ويذكر ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر^(٦).

(١) عفيف عبد الفتاح طبارة (روح الدين الإسلامى) بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٢٧ ، ١٩٨٨ م ، راجع ص ٣٢٣.

(٢) د . إبراهيم أنيس وآخرون (المعجم الوسيط) القاهرة ، دار إحياء التراث العربى ، بدون ، ج ٢ ، ص ٩٢٥ .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) رواه البخارى ومسلم .

(٦) د . إبراهيم أنيس ، مرجع سابق ، ص ١٠٤٣ ج ٢ .

وقال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (١).

ومن أحاديث الرسول في الوعظ والإرشاد ما يلي:

عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يُذَكِّرُنَا فِي كُلِّ خَمِيسٍ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، لَوِ دِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ ، فَقَالَ : أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَمْلِكُكُمْ ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا خَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا . (٢)

وعن أبي السيف طان عمار بن ياسر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ ، وَقِصْرَ خُطْبَتِهِ ، مِثْنَةٌ مِنْ فَهْمِهِ ، فَاطِيلُوا الصَّلَاةِ ، وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ » (٣)

وعن العزباض بن سارية - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ (٤) .

الوصايا في القرآن الكريم :

جاءت الوصايا في آيات الذكر الحكيم بعدة ألفاظ وأشكال ، كلها مُشتقة من لفظ (وصى) ، مثل : وصى ، ووصاكم ، ووصينا ، وتواصوا ، ووصية . . إلخ ، وستعرض هنا لكل هذه الألفاظ لنرى تعمق القرآن الكريم في ذكر الوصايا :

١ - لفظ (وصى) : جاء مرتين ، مرة في قول الحق : ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ (٥) ، ومرة في قول القرآن الكريم : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا ﴾ (٦) .

والوصية في الآيتين بمعنى الدين وشريعة الله : الإسلام .

(١) النحل ، آية : ١٢٥ .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(٥) من الآية ١٣٢ من سورة البقرة .

(٦) آية ١٣ من سورة الشورى .

٢- لفظ (وصاكم) : وجاء أربع مرات ، كلها في سورة الأنعام ، قال الحق - عز وجل - فيهم : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ^(٢) ، وقوله سبحانه : ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٣) ، وقوله الحق : ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ^(٤) .

وكل هذه الألفاظ وصايا بالتقوى ، وبمعنى الدين وشرعية الله .

٣- لفظ (وصَّينا) : وذكره الله - عز وجل - خمس مرات ، بمعنى عهدنا ، حيث يقول الحق : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا ﴾ ^(٦) ، ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ ﴾ ^(٧) ، ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ﴾ ^(٨) ، ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ ^(٩) .

٤- لفظ (تواصوا) : أى تعاهدوا ، وتناصحو ، وجاء بمواقف مختلفة في كتاب الله - عز وجل - خمس مرات في ثلاث آيات بينات ، هى في قوله - عز وجل - : ﴿ اتَّوَاصَوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ ^(١٠) ، ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا

(١) آية ١٤٤ من سورة الأنعام .

(٢) من الآية ١٥١ من الأنعام .

(٣) من الآية ١٥٢ من سورة الأنعام .

(٤) من الآية ١٥٣ من سورة الأنعام .

(٥) من الآية ١٣١ من سورة النساء .

(٦) من الآية ٨ من سورة العنكبوت .

(٧) الآية ١٤ من سورة لقمان .

(٨) الآية ١٣ من سورة الشورى .

(٩) من الآية ١٥ من سورة الأحقاف .

(١٠) الآية ٥٣ من سورة الذاريات .

بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٢﴾.

٥ - لفظ (وصية) : وجاء هذا اللفظ ، وبعده معان ، في ثمانية مواضع ، في
خمس آيات كريمات في كتاب الله الكريم ، وذلك على النحو التالي :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ (٣) ، ﴿ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُمُ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً
لِّأَزْوَاجِهِمْ ﴾ (٤) ، ﴿ فَلَاؤُمُهُ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ (٥) ،
﴿ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ
دَيْنٍ ﴾ (٦) ، ﴿ فَهِنَّ الشُّمْنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا
أَوْ دَيْنٍ ﴾ (٧) ، ﴿ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ
غَيْرِ مُضَارٍّ ﴾ (٨) ، ﴿ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (٩) ، ﴿ شَهَادَةُ
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ (١٠).

٦ - ألفاظ مشتقة من كلمة (وصية) وذكرت في آيات الذكر الحكيم مرة
واحدة ، وكلها تعنى العهد أو الأمر أو الوصية الشرعية في الميراث ، وهذه الألفاظ
جاءت على النحو التالي :

-
- (١) الآية ١٧ من سورة البلد .
 - (٢) الآية ٣ من سورة العصر .
 - (٣) من الآية ١٨٠ من سورة البقرة .
 - (٤) من الآية ٢٤٠ من سورة البقرة .
 - (٥) من الآية ١١ من سورة النساء .
 - (٦) من الآية ١٢ من سورة النساء .
 - (٧) من الآية ١٢ من سورة النساء .
 - (٨) من الآية ١٢ من سورة النساء .
 - (٩) من الآية ١٢ من سورة النساء .
 - (١٠) من الآية ١٠٦ من سورة المائدة .

أ- توصية : فى قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١).

ب- يوصى : فى قوله تعالى : ﴿ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّىٰ بِهَا ﴾ (٢).

ج- يوصين : فى قوله تعالى : ﴿ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ (٣).

د- يوصيكم : فى قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِمِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ (٤).

هـ- يوصى : فى قوله تعالى : ﴿ فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ (٥).

و- تـوصون : فى قوله تعالى : ﴿ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ (٦).

ز- أوصانى : فى قوله تعالى : ﴿ وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (٧).

وهكذا ، نرى أن القرآن الكريم اهتم بالوصية اهتماماً خاصاً فى ٣٢ موضعاً فى القرآن الكريم ، وبكافة الألفاظ المشتقة من الوصية أو من الفعل (وصى) ، وهذا

(١) الآية ٥٠ من سورة يس .

(٢) من الآية ١٢ من سورة النساء .

(٣) من الآية ١٢ من سورة النساء .

(٤) من الآية ١١ من سورة النساء .

(٥) من الآية ١١ من سورة النساء .

(٦) من الآية ١٢ من سورة النساء .

(٧) الآية ٣١ من سورة مريم .

ما يؤكد أن القرآن اهتم بالوصايا الإسلامية سواء لله ولرسوله ولكافة المؤمنين .
ووصايا القرآن الكريم هي أوامر واجبة النفاذ وعهود بين الله - جل في علاه -
وبين عبده المسلم ، يجب على المسلم أن يتعهد بها بالرعاية والتنفيذ فوراً ، فندعو الله -
عز وجل - أن يدخل نور الوصايا الإسلامية في قلوبنا ، آمين يارب العالمين .

* * *

وصايا قرآنية مباركة

نستعرض في هذا المجال عدة وصايا للتذكرة فقط ، فالقرآن كله أوامر ونواهٍ ، وعهود ومواثيق ، ولكن نذكر هنا همسات ووصايا معينة ، من الذكر الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ لتكون هذه الوصايا منارة في حياتنا ، وتكون نوراً نهتدى به إن شاء الله .

وكما رأينا ، فوصايا القرآن الكريم ليست مجرد كلمة (وصى) ومشتقاتها ، بل هي كل الأوامر والنواهي والعهود بين العبد وربّه وبين العبد والعبد ، ونسأل الله - جل في علاه - أن يهدينا إلى نور هذه الوصايا لنعيش حياتنا سعداء إذا عملنا بها بعد أن هدانا الله إلى نورها وجعله في قلوبنا . ومن هذه الوصايا نختار :

١- التواصى بالحق والتواصى بالصبر :

وهي صفة من صفات المؤمنين : التواصى بالحق والتواصى بالصبر، هذه تبعد المؤمن عن الخسران المبين: قال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (١) .

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه السورة وكيفية التواصى بالحق والصبر: (٢)

(العصر : هو الزمان الذي يقع فيه حركات بنى آدم من خير أو شر، وأقسم الله تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر ، أى : في خسارة وهلاك ، إلا الذين آمنوا

(١) العصر ، الآيات : ١- ٣ .

(٢) الحافظ ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، بيروت ، دار القلم ، ج ٤ ، ص ٤٧٩ .

وعملوا الصالحات ، فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم ، وتواصوا بالحق ، وهو أداء الطاعات وترك المحرمات ، وتواصوا بالصبر ، أى : على المصائب والأقدار ، وأذى من يؤذى ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر) .

ويقول الشيخ الصابونى فى تفسيره لهذه الآيات : (١) :

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾ أى : أوصى بعضهم بعضاً بالحق ، وهو الخير كله : من الإيمان ، والتصديق ، وعبادة الرحمن ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ أى : وتواصوا بالصبر على الشدائد والمصائب ، وعلى فعل الطاعات ، وترك المحرمات . . حكم تعالى بالخسران على جميع الناس إلا من أتى بهذه الأشياء الأربعة ، وهى : الإيمان ، والعمل الصالح ، والتواصى بالحق ، والتواصى بالصبر ، فإن نجا الإنسان لا تكون إلا إذا كمل الإنسان نفسه بالإيمان والعمل الصالح ، وكمل غيره بالنصح والإرشاد ، فيكون قد جمع بين حق الله ، وحق العباد ، وهذا هو السرُّ فى تخصيص هذه الأمور الأربعة .

وهذه وصية ، يجب أن تكون أمام نظر كل مؤمن فى كل وقت ، ألا وهى : التواصى بالحق والتواصى بالصبر .

٢- وصايا لقمان - عليه السلام - لابنه وهو يعظه :

وهذه الوصايا هامة فى حياة كل مسلم ، وقد يقول قائل : إن ابنه كان صغيراً ، والوصية كانت له فى الصغر ، ونقول لهم : إن هذه الوصية كانت لابنه فى الكبر ، وهو شاب أو رجل ؛ لأنها وصايا لا يفهمها إلا كل ذى عقل ، فكيف يأمر ابنه بالصلاة والمعروف وينهاه عن المنكر وهو مازال صبيّاً ؟!

قال الله عز وجل فى تلك النصيحة فى كتابه الكريم :

(١) محمد على الصابونى : تفسير جزء عم ، الجزء الثلاثون ، سلسلة (مع أعلام المفسرين) ٦ ، جدة ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٣٤ .

﴿ وَإِذْ قَالَ لِقَمْنُ لَابِنِهِ، وَهُوَ عِظُهُ، يَبْنِي لِأَشْرِكٍ بِاللَّهِ إِبْرَ الشَّرِكِ لَظُلْمٍ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَلَّهُ فِي عَمَامِينَ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (١) .
٣- الاعتصام بحبل الله :

وفي هذا المقام ، يجدثنا القرآن الكريم حديثا عظيما عن فضل الاعتصام بحبل الله والحرص على أخوة الإسلام ، والتي لا تعادها أخوة ، بين كل المسلمين ، حتى لا يطمع فينا أعداء الله ، وأعداء الإسلام ، وهي من الوصايا الخالدة التي يجب أن نضعها أمام أعيننا ليل نهار . وفي ذلك يقول الحق - سبحانه وتعالى - :

﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢)
٤- التعاون على البر والتقوى :

وإذا كان الإسلام يأمرنا بالاعتصام والأخوة الإسلامية ، فإنه يوصينا ، ويُعاهدنا على التعاون الدائم بين المسلمين لما فيه مصلحة المسلمين .

والتعاون على البر والتقوى : إقامة حدود الله والبعد عما نهانا الله عنه ، وهي

(١) الآيات ١٢ إلى ١٩ من سورة لقاب .

(٢) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .

من وصايا القرآن الكريم الخالدة ، والشمينة ، والتي تُحقق مجتمعا إسلاميا مثاليا ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤمن بالله ، هذه الأمور هامة لسلامة حياتنا الإسلامية .

وفي ذلك يقول الحق - سبحانه وتعالى - :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١)

٥- الإنفاق من طيبات الكسب :

وقد أوصانا القرآن الكريم بالإنفاق من الكسب الطيب الحلال والإنفاق بسخاء في سبيل الله ، وفي ذلك نجد آيات كثيرة تتحدث عن هذه الوصايا الهامة في حياتنا :

قال الله تعالى : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران ٩٢]
وقال تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].
٦- الوصايا بوصل الرحم :

وقد أوصانا القرآن الكريم بوصل الرحم دائما ، والمبادرة إلى زيارة الأقارب وعدم إهمالهم :

قال الله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾

[محمد : ٢٢ ، ٢٣]

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ

(١) الآية ٢ من سورة المائدة .

يُوصَلْ وَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿ [الرعد : ٢٥]

وقال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَنًا إِنَّمَا يَبْغُونَ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفِي وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٣ ، ٢٤].

٧. الوصايا بالزهد في الدنيا وعمل الصالحات من أجل الآخرة:

وفي ذلك يُذكرنا القرآن الكريم بعدد من الوصايا التي يجب أن تكون نبراساً لحياتنا، والتي تعتبر كمعبر للآخرة ، فلا بد أن نَجِدَّ ونعمل الصالحات ، ونبتعد عن زينة الدنيا وزخرفها . ونذكر هنا عدداً من هذه الوصايا :

قال تعالى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْطَأَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْدِرًا * أَلَمْ آتِ الْبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَالْبَنَاتِ الصَّالِحَاتِ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف : ٤٥ ، ٤٦].

وقال تعالى : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فِتْنَتُهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴾ [الحديد : ٢٠]

وقال تعالى : ﴿ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ [آل عمران : ١٤]

وقال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرُّكُمْ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا

وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ [فاطر : ٥]

وقال تعالى : ﴿ أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ ذُرِّمْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾
[التكاثر : ١ : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَاةِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٤]
٨- الوصايا بعدم الكبر والخيلاء :

وفي ذلك العديد من الوصايا التي تنهانا عن التكبر على عباد الله ؛ فإن الإنسان مخلوق ، والكبرياء صفة من صفات المولى - عز وجل - فلا يجوز لمسلم أن يتكبر على أخيه المسلم :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣]

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [الإسراء : ٣٧]

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَصْغُرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان : ١٨] .

٩- الوصايا بالعفو والحلم :

والوصايا بهذه الأخلاق الكريمة ركز عليها المولى - عز وجل - في كتابه الكريم :

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] .

وقال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

[الأعراف : ١٩٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٤ ، ٣٥].

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤٣].

وقال تعالى : ﴿ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [الحجر : ٨٥].

وقال تعالى : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾

[النور : ٢٢].

١٠- الوصايا بالوفاء بالعهود والمواثيق :

وهذه من شيم المسلم المؤمن ، وهى الوفاء بالعهود والمواثيق ، ولذلك أوصانا الحق - جل فى علاه - بهذه الوصايا الرائعة من أجل سعادتنا فى الدنيا والآخرة ، وسنختار بعضها منها :

قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٤]

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ [النحل : ٩١] .

وقال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة : ١].

وقال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ

مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢ ، ٣].

١١- الوصايا بإفشاء السلام بين المسلمين :

وفى ذلك يوصينا الحق - تبارك وتعالى - بإفشاء السلام فيما بيننا .

قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ

حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ [النور : ٢٧].

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِندِ
اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ [النور : ٦١].

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾
[النساء : ٨٦].

وقال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا
سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٤ ، ٢٥].

١٢- الجهاد في سبيل الله :

والجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام ، ومن منا لا يجب أن يصل إلى ذروة
الإسلام التي تؤدي به إلى الجنة بإذن الله ؟ والجهاد أوصانا القرآن الكريم به من
خلال عدة آيات بينات منها :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ
كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ٣٦].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٦].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٤١].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنْ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
بِأَنْ لَّهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا

عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوَرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿

[التوبة : ١١١].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٩٥ ، ٩٦].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَجَرَّةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا أَنْصَرُّ مِنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف : ١٠ - ١٣].

١٣. الوصايا بالسماحة في البيع والشراء :

وفي ذلك العديد من الوصايا الخالدة التي أوصانا رب العزة بها ، ومنها :

وقال تعالى : ﴿ وَيَقُومِ أَوْفُوا الصَّكَّالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [هود : ٨٥]

وقال تعالى : ﴿ وَبِئْسَ لِلْمُطَفِّينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين : ١ - ٦].

١٤. الوصية بطلب العلم والاستزادة منه :

وفي ذلك جملة من الوصايا للمسلم بالإقبال على طلب العلم وتعليمه للناس ، ومنها :

قال الله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] .

وقال تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

[المجادلة : ١١]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

١٥- الوصية بالصلاة على رسول الله ﷺ :

ورسول الله ﷺ لابد من الصلاة عليه عند ذكره - عليه الصلاة والسلام - وفي ذلك وصية خالدة من رب العزة - سبحانه وتعالى - بيدوها بنفسه ثم بملائكته ، ثم بوصينا :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

١٦- ذكر الله في كل آن وحين :

وهذه من الوصايا التي يجب أن يرطب لسان المؤمن بها ؛ لما لها من الفوائد الجمة ، ومنها :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَذْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة : ١٠] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾

إلى قوله تعالى : ﴿ وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .
وقال تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٤١ ، ٤٢] .

١٧- التضرع إلى الله بالدعاء والتسبيح :

وفي ذلك جملة من الرعايا المفصلة ، والتي لا تحتاج إلى تفسير وتعقيب ، ويجب على المسلم المؤمن أن يعمل بها في كل آن وحين ، وفي أحوال الشدة والرخاء :

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ . [غافر : ٦٠] .
وقال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ . [الأعراف : ٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [النمل : ٦٢] .
وقال تعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ . [طه : ١٣٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ . [غافر : ٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ فِي يُثُوبِ أَدْأَنَّ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [النور : ٣٦ ، ٣٧] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَيِّرْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ [ص : ١٨]

١٨- الوصايا باجتنب الغيبة والنميمة :

وهى وصايا من أجل حياة رائعة للمسلم يحفظ خلالها أخاه المسلم أثناء غيابه ، ومن هذه الوصايا التى نُحذرن من غيبة الآخرين ، وتدعونا لحفظ لساننا فى كل آن وحين إلا بالخير :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ [القصص : ٥٥]

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون : ٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

[الإسراء : ٣٦] .

١٩- الوصية بعدم السخرية من المسلمين :

والسخرية من المسلمين واحتقارهم من الأمور المنهى عنها فى الإسلام ، وقد أوصانا القرآن الكريم بتجنب السخرية فى لهجة حازمة ، وفى وصية لابد أن نضعها أمامنا دائما من أجل دنيانا وآخرتنا :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِأَلْسِنَتٍ لَّيْسَ بِإِسْمٍ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات : ١١] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ﴾ [الهمزة : ١] .

٢٠- الوصية باجتنباب الرياء :

. ومراءة الناس وعدم الخوف من الله من أشد الأمور التى يُعاقب عليها الإنسان فى دنياه وآخرته ؛ ولذلك أوصانا الله - عز وجل - فى كتابه الكريم بعدم الرياء ، ويذكر الله دائما :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾

[البينة : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ لَا تَبْطُلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ ﴾ [البقرة : ٢٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[النساء : ١٤٢] .

٢١- الوصية بعدم أكل مال اليتيم :

وهو من المحرمات التى أوصانا الحق فى كتابه الكريم بالبعد عنها :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَكُونُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء : ١٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الأنعام : ١٥٢] .
وقال تعالى : ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحُهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ [البقرة : ٢٢٠] .

٢٢- الوصية بعدم التعامل بالربا :

والربا من الأمور المحرمة تحريما قاطعا ، وله عذاب دنيوى وأخروى ، وأوصانا الحق - جل فى علاه - بعدم التعامل بالربا أيا كان الموقف والحال ، وأوصانا بالابتعاد عنه واتقاء شبهاته :

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ
الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّهَىٰ قَلْبُهُ مَآ سَلَكَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ
وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا
وَيُزِيدُ الصَّدَقَ فَتًى ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا
مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[البقرة ٢٧٥-٢٧٨]

٢٣. حفظ الأيمان وعدم الحلف في كل الأمور :

وفي ذلك يوصينا القرآن الكريم في وصية خالدة جامعة تقول :

قال الله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ
بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ
أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُمْهُمُ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ
كَفَرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْضُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ [المائدة : ٨٩] .

٢٤. الوصية بالصبر :

والصبر من صفات المؤمنين الصالحين ، ولقد حثنا القرآن عليه في أكثر من موضع

منه :

قال الله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾

[آل عمران : ٢٠٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ

وَالْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ وَالشَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .
 وقال تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عَظَمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤٣]
 وقال تعالى : ﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣]
 وقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾
 [محمد : ٣١] .

٢٥- الوصية بتقوى الله في السر والعلن :

وتقوى الله من الأمور اللازمة لحياة المسلم ، وفي ذلك يُذكرنا القرآن الكريم بهذه الوصية في أكثر من موضع من آياته البينات التي تنطق بالحق ، وتوصي بتقوى الله في السر والعلن ؛ ليبارك لنا المولى - عز وجل - في حياتنا في الدنيا ، ويجزيانا حسن الثواب في الآخرة ، بل إن التقوى تزيد القلوب محبة وتكفر الذنوب عن المسلم ، وفي ذلك العديد من الوصايا القرآنية :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾

[آل عمران : ١٠٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن ١٦] وهذه الآية مبينة للمراد من الأولى .

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠]

والآيات في الأمر بالتقوى كثيرة معلومة . وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ

مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢ : ٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

٣٦- الوصية بالتوكل على الله الخالق الباري :

وهذه من الوصايا الهامة من أجل سعادتنا في حياتنا الدنيا ، وفي آخرتنا ، ونرى الوصايا القرآنية عن رب العزة - عز وجل - تتعدد في هذا اليقين بالتوكل على الله ، ولنر بعضا من تلك الوصايا الجامعة :

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ لَمْ يَمَسَّ مِنْهُمْ شَيْءٌ * فَاتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٣ - ١٧٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان : ٥٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [إبراهيم : ١١] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

والآيات في الأمر بالتوكل كثيرة معلومة . وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق : ٣] أي : كافيه .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢] .

٢٧- التفكير في ملكوت الله عز وجل :

وأیضا من الوصايا الخالدة من أجل استعمال نعمة التفكير والتدبر التي وهبنا الله تعالى ، ألا وهي نعمة العقل ، فالعقل من النعم التي لم ينعم الله على أحد من خلقه بها إلا الإنسان ، وهذه النعمة تستوجب الشكر والحمد والثناء لرب العزة ، وهذا الشكر والثناء يكون بالتفكير في خلق السموات والأرض وعظمة خلق الله - سبحانه وتعالى - والتفكير في عظيم ملكه - عز وجل - والعمل على عبادته حق العبادة ، وفي ذلك يذكرنا القرآن الكريم بعدد من الوصايا باستعمال هذه النعمة الكبرى التي من الله بها علينا ،

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾
[آل عمران : ٣١] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ
ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾
[النساء : ٦٥] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ نَزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء : ٥٩] . قال
العلماء : معناه إلى الكتاب والسنة .

وقال تعالى : ﴿ مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ۚ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] .

٢٩- الوصية بأداء الأمانة :

والأمانة من صفات المؤمن حقا ، ولذلك أوصانا الله في كتابه العزيز بها ، وهذه
الوصية غالية :

قال الله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء : ٥٨]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ
يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] .
٣٠- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

والوصايا بهذا الخصوص متعددة ، ولم لا ؟ فوظيفة المؤمن في الحياة الدنيا أن

يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ووظيفة المسلم أن يدعو إلى الله ، وأن ينصح أخاه المسلم في كل وقت وحين ، وفي هذه الوصايا التي نختم بها هذا الجزء نرى عددا من الوصايا الإلهية من كتاب الله الكريم ، والتي تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وقال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .
وقال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

[الأعراف : ١٩٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [التوبة : ٧١] .

وقال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨ ، ٧٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ﴾

[الكهف : ٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر : ٩٤] .

وقال تعالى : ﴿ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَكُونُونَ مِنَ الْكَائِبِ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٤٤].

وقال تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ
مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢ ، ٣].

وقال تعالى إخباراً عَنْ شُعَيْبٍ - عليه السلام - : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَكُمْ إِلَى
مَا أَنْهَكُم عَنْهُ ﴾ [هود : ٨٨].

وختاماً :

نكتفى بهذه الوصايا الثلاثين من كتاب الله : الذكر الحكيم ، الذى لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ونكتفى بهذه الوصايا الإسلامية الرائعة التى
تجعل حياتنا فى هذه الدنيا حياة سعيدة رائعة ، وتجعلها مسخرة لخدمة دين الله -
عز وجل - وعبادته حق العباد ، وذلك من خلال التعامل بالأخلاق الفاضلة مع
الناس ، والتعامل بما يرضى الله ورسوله ، والتعامل بأنعم الله بها يجعلها مسخرة
حقاً للهدف الذى خُلقنا من أجله .

إن هذه الوصايا القرآنية المباركة هى نور يهدى إلى الحق ، ولذا حق علينا
كمسلمين موحدين أن نعمل بها ونتخذها طريقاً ومسلكاً نحو حياة فاضلة ، نسعد بها
فى دنيانا وآخرتنا إن شاء الله رب العالمين .

وبالطبع فإن القرآن الكريم كله وصايا خالدة ، وقد اقتبسنا هذه الوصايا
الثلاثين ؛ علنا ننتفع بها ، ونتنفع بالعمل بها ، فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون
إلا من أتى الله بقلب سليم وعمل صالح متين .

نسأل الله - عز وجل - أن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علمنا ، إنه هو السميع
العليم ، مالك يوم الدين ، الرحمن الرحيم .

ثالثاً : وصايا إسلامية خالدة

للمصطفى عليه الصلاة والسلام

كل قول أو فعل أو تقرير لرسول الله - عليه الصلاة والسلام - وصية لأُمته ، ولكنه وصية تفسر القرآن الكريم ، أو تُكمل أعمال المسلم ليكون مسلماً صحيحاً يرضى عنه رب العزة ، ولم لا ؟ أليس هو الهادي البشير والضيء المنير ، وقد أمرنا هو ذاته - عليه الصلاة والسلام - وأمرنا الله - عز وجل - أن نتبع سنة الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - ؟

ولقد اجتمع لرسول رب العزة - عليه الصلاة والسلام - مكارم الأخلاق ، والشجاعة ، والكرم ، والبصيرة ، ولقد بلغ الرسول - عليه الصلاة والسلام - الرسالة ، ونصح الأمة ، وجمع الكلمة ، وفتح مع صحابته القلوب بتوحيدهم ، كما فتحوا البلاد بجهادهم ؛ ليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد (١) .

وفي ذلك يقول رب العزة : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢) ، ويقول - جل جلاله - : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَأَنْقَرُوا ۚ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

وهناك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تحثنا على اتباع هديه الشريف - عليه الصلاة والسلام - واتباع وصاياه الثمينة للفوز بالسعادة في الدنيا وفي الآخرة ، ومن هذه الأحاديث النبوية الشريفة :

(١) راجع : محمد بن جميل زينو : مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع . جدة ، مكتبة

العلم ، بدون تاريخ ، ص ٣١ .

(٢) الآية ٢١ من سورة الأحزاب .

(٣) الآية ١ من سورة الحجرات .

- « إننى قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبدا : كتاب الله وسنة نبيه » (١) .

- «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها» (٢) .

- « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله » (٣) .

- « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله » (٤) (أى لا تزيدوا فى مدحى) .

- « من رَغِبَ عن سُنتى فليس منى » (٥) .

- « إنما يُعْثَثُ لأتمم مكارم الأخلاق » (٦) .

ولذلك فإن جميع سُنن الحبيب المصطفى - عليه الصلاة والسلام - واجبة النفاذ ، وهى عهد من الرسول - عليه الصلاة والسلام - إلى أمته ، ويجب عليهم أن ينفذوها ، ولم لا ؟ أليست سنن الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - هى وصايا ومواثيق واجب اتباعها ؟ !

ولهذا فإن الإبحار فى سنن الرسول - عليه الصلاة والسلام - إبحار شاق ؛ لأن كل كلمة تعنى وصية واجبة النفاذ فورا ، ويجب الأخذ بها من قبل المؤمنين ، ولذلك فإن اختيار بعض من هذه الوصايا سيكون بلا شك له جوانبه السلبية ؛ ولذلك فإننى سأتابع طريقا يسيرا للخروج من هذا المأزق المنهجى ، وهو كيفية اختيار بعض من وصايا الرسول - عليه الصلاة والسلام - فى هذا المقام ؟ ! وهذا الطريق يتلخص فى إيراد بعض الأحاديث الشريفة التى تحمل كلمة الوصية ومشتقاتها ، ثم إيراد بعض الأحاديث الشريفة التى تتضمن نصحا أو موعظة

(١) رواه الحاكم ، وصححه الألبانى .

(٢) رواه الإمام أحمد .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه البخارى .

(٥) رواه البخارى ومسلم .

(٦) صححه الحاكم ووافقه الذهبي .

مباشرة، ثم بعد ذلك أوردُ بعض الأحاديث التي تحت على مكارم الأخلاق أو التي ترشّد من سلوك المسلم المؤمن ، عسى الله أن ينفعنا بها في حياتنا، آمين يارب العالمين .

١- وصاياه - عليه الصلاة والسلام - في حجة الوداع :

أوصى الرسول - عليه الصلاة والسلام - في حجة الوداع المسلمين بالعديد من الوصايا الثمينة ، في خطبة جامعة حكيمة ، قال فيها الرسول - عليه الصلاة والسلام- (١) :

قال ﷺ : « الحمد لله ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا . مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَحْثَكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَسْتَفْتِحُ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، أَمَّا بَعْدُ : أَيُّهَا النَّاسُ : اسْمَعُوا مِنِّي أَيْبَنَ لَكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي ، لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا فِي مَوْقِفِي هَذَا . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رِبَّكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا .

أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ

فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى الَّذِي ائْتَمَنَ عَلَيْهَا . وَإِنَّ رَبَّ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَإِنَّ أَوَّلَ رَبٍّ أَبَدُأَ بِهِ رَبًّا عَمِّي الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . وَإِنَّ دِمَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ نَبَدَأُ بِهِ دَمٌ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . وَإِنَّ مَأْتِرَ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ، غَيْرَ السَّدَانَةِ وَالسَّقَايَةِ . وَالْعَمْدُ قَوْدٌ ، وَشِبْهُ الْعَمْدِ مَاقْتَلٌ بِالْعَصَا وَالْحِجَرِ ، وَفِيهِ مِائَةٌ بَعِيرٌ ، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَتَسَّ أَنْ يُعْبَدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيهَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ .

(١) عمرو بن بحر الجاحظ (البيان والتبيين) تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت ، دار الفكر ، بدون تاريخ ، الجزء الثاني ، ص ٣١-٣٣ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ النَّسِيءَ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ . إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ . وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ : ثَلَاثَةٌ مَتَوَالِيَاتٌ : وَوَاحِدٌ فَرْدٌ : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمَحْرَمِ ، وَرَجَبُ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ .
أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ لِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكِنْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ ، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَا يُوْطِنَنَّ فُرْشَكُمْ غَيْرَكُمْ ، وَلَا يَدْخُلَنَّ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ بِيُوتَكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ ، وَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذَنَ لَكُمْ أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ وَتَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مَبْرَحٍ ، فَإِنْ انْتَهَيْنَ وَأَطَعْنَكُمْ فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَإِنَّمَا النِّسَاءُ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ لَا يَمْلِكْنَ أَنْفُسَهُنَّ شَيْئًا ، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةٍ مِنَ اللَّهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ ، وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا . أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ !
اللَّهُمَّ اشْهَد .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرءٍ مُسْلِمٍ مَالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ .

أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد

فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفْرًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ، فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ : كِتَابُ اللَّهِ .

أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ؛ وَإِنَّ أَبَاكُمْ أَحَدٌ ؛ كُلُّكُمْ لَأَدَمٍ وَأَدَمٌ مِنْ تَرَابٍ . أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ . وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى . أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد !

قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ لَكُمْ وَارِثَ نَصِيْبِهِ مِنَ الْمِيرَاثِ ، فَلَا تَجُوزُ لَوَارِثٍ وَصِيَّةٌ ، وَلَا تَجُوزُ وَصِيَّةٌ فِي أَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ . وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، وَلِلْمَعَاهِرِ الْحَجَرُ . مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ فَعَلِيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

٢- وصية بليغة لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

ومن الوصايا البليغة لرسول الله ﷺ هذه الوصية الحكيمة التي سُميت باسم يدل على معناها ، ألا وهو (جوامع الكلم) والتي يحدثنا فيها الرسول - عليه الصلاة والسلام - عن أمور عديدة ؛ لتفوز بالمزايا الفريدة التي نفوز من خلالها بالسعادة في الدنيا والآخرة ، ولذلك وجب علينا اتباع هذه الوصية الخالدة الجامعة ، والتي توصينا بالعديد من الأمور ، قال فيها الرسول - عليه الصلاة والسلام -^(١) :

« أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير المثل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد ﷺ ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الأمور عوازمها ، وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدى هدى الأنبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى ، وخير العلم ما نفع ، وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتى الصلاة إلا دبرا ، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجرا ، وأعظم الخطايا اللسان الكذوب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله ، وخير ما قر في القلوب اليقين ، والآرتياب من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول من جثاء جهنم ، والكنز كئ من النار ، والشعر من مزامير إبليس ، والخمر جُماع الإثم ، والنساء حبال الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المأكّل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقى من شقى في بطن أمّه ،

(١) نقلها : أبو الحسن علي الحسنى البدوى ، في كتابه . (مختارات من أدب العرب) جده ، دار الشروق ، ١٩٨٦م ، ط ٣ ، ص ٢٧ ، ٢٨ ، عن البيهقي في الدلائل ، وابن عساکر : عن عقبة بن عامر الجهني .

وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربع أذرع ، والأمر بآخرته ، وملاك العمل خواتمه ،
وشر الروايا روايا الكذب ، وكل ما هو آت قريب ، وسباب المؤمن فسوق وقتال
المؤمن كفر ، وأكل لحمة من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتأل على الله
يُكَذِّبُه ، ومن يغفر يغفر الله له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره
الله ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ، ومن يتبع السمعة يسمع الله به ، ومن يصبر
يضعف الله له ، ومن يعص الله يعذبه الله ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي
ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي . أستغفر الله لي ولكم صدق رسول الله .

٣- الوصية ببر الوالدين :

وهي من أولى وأهم الوصايا التي أمرنا بها الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ ، ومن
وصايا الرسول ﷺ في ذلك الأمر :

عن أبي بكرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ » -
ثلاثا- قالوا : بلى يا رسول الله !! قال : « الإشرak بالله ، وعقوق الوالدين » وجلس ،
وكان متكئا « ألا وقول الزور » ما زال يكررها حتى قلت : ليته سكت .^(١)

عن أبي الدرداء ؛ قال : أوصاني رسول الله ﷺ بتسع : « لا تشرك بالله شيئا ،
وإن قُطِعَتْ ، أو حُرقت ، ولا تترك الصلاة المكتوبة متعمدا ، ومن تركها متعمدا
برئت منه الذمة ، ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر ، وأطع والديك ، وإن
أمرak أن تخرج من دنيak فاخرج لهما ، ولا تنازعن ولاية الأمر ، وإن رأيت أنك أنت ،
ولا تفر من الزحف وإن هلك ، وقُر أصحابك ، وأنفق من طولك على أهلك ، ولا
ترفع عصاك على أهلك ، وأخفهم في الله عز وجل »^(٢) .

٤- وصايا بعدم تناول الطعام أكثر من مرة واحدة في اليوم :

حُثنا رسول الله ﷺ على ذلك في حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -
فعنها قالت : رآني رسول الله وقد أكلت في اليوم مرتين ، فقال : « يا عائشة : أما

(١) أخرجه البخاري .

(٢) أخرجه البخاري .

تُحِبُّنَ أَنْ يَكُونَ لَكَ شُغْلٌ إِلَّا جُوفَكَ ؟ الْأَكْلُ فِي الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ مِنَ الْإِسْرَافِ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » (١)

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

وهما من أهم واجبات المسلم ، وقد حثنا رسول الله ﷺ على ذلك : (٢) أخرج الطبراني عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : دخل رسول الله ﷺ فقال : « يا ابن مسعود ! قلت : لبيك يا رسول الله ! - قالها ثلاثا - قال : « تدرى أى الناس أفضل ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « فإن أفضل الناس أفضلهم عملاً إذا فقهوا في دينهم » ثم قال : « يا ابن مسعود ! » قلت : لبيك يا رسول الله ! قال : « تدرى أى الناس أعلم ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « إن أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس وإن كان مقصراً في العمل ، وإن كان يزحف على استه زحفاً ، واختلف من كان قبل على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاثة وهلك سائرهن ، فرقة وازت الملوك وقتلوه على دينهم ودين عيسى بن مريم وأخذوهم وقتلوه وقطعوهم بالناشير ، وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بأن يقيموا بين ظهرائهم فيدعوهم إلى الله ودين عيسى بن مريم فساخوا في البلاد وترهبوا ، قال : وهم الذين قال الله عز وجل : ﴿ رَهَبَانِيَّةٌ ابْتَدَعُوهُمَا مَا كُتِبَ لَهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾ [الحديد : ٢٧] » فقال النبي ﷺ : « من آمن بى وصدقنى واتبعنى فقد رعاها ، حق رعايتها ، ومن لم يتبعنى فأولئك هم الهالكون » .

٦- وصايا الرسول - عليه الصلاة والسلام - لبعض الرجال من الصحابة :

وهذه جملة من الوصايا التي نقلها الجاحظ من كتب السيرة عن رسول رب العزة - عليه الصلاة والسلام - لبعض الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - وهى وصايا جاءت نتيجة لسؤال بعض هؤلاء الصحابة لحرصهم على الانتفاع بعلم رسول الله - عليه الصلاة والسلام - وقد أجاب الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - على أسئلة

(١) أخرجه البيهقي .

(٢) راجع (حياة الصحابة) لمحمد يوسف الكاندهلوى ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ج ٢ ص ٥٢١ ، وهو حديث رواه الطبراني .

الصحابة بإعطائهم الوصايا المفيدة التى يجب علينا تذكرها دائما وعدم نسيانها وعدم البعد عنها ؛ لأنها منهج قويم للحق وتحقيق الذات الكاملة للإنسان المسلم الذى يخشى ربه ويعمل لدنياء وآخرته ، ومن هذه الوصايا (١) :

قال له رجل : يا رسول الله ، أوصني بشيء ينفعني الله به . قال : « أَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ يُسَلِّكْ عَنِ الدُّنْيَا ، وَعَلَيْكَ بِالشُّكْرِ ؛ فَإِنَّهُ يَزِيدُ فِي النِّعْمَةِ ، وَأَكْثِرِ الدُّعَاءَ ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى يُسْتَجَابُ لَكَ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّوْبَةَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ قَضَى أَنَّهُ مَنْ بَغَى عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ ، وَقَالَ : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ [٢٣ يونس] وَإِيَّاكَ وَالْمَكْرَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ قَضَى أَلَّا يَحْيِيَ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ .

وقيل : يا رسول الله : أى الأعمال أفضل ؟ فقال : « اجتناب المحارم ، وألا يزَالَ فُوكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ » .

وقيل : أى الأصحاب أفضل ؟ قال : « الذى إذا ذكُرتَ أعانَكَ ؛ وإذا نُسيتَ ذَكَرَكَ » .

وقيل : أى الناس شرٌّ ؟ قال : « العلماء إذا فسدوا » .

وقال : « ذَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِكُمْ : الْحَسَدُ وَالتَّبَغُّضُ . وَالتَّبَغُّضُ هِيَ الْحَالِقَةُ ، حَالِقَةُ الدِّينِ ، لَا أَقُولُ حَالِقَةُ الشَّعْرِ . وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تُؤْمِنُونَ حَتَّى تَحَابُّوا . أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ » فقالوا : بلى يا رسول الله . قال : « أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ » .

وقال : « تَهَادَوْا تَحَابُّوا » .

وعن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « أَوْصَانِي رَبِّي بِتَسَعٍ : أَوْصَانِي بِالْإِخْلَاصِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَبِالْعَدْلِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ ، وَبِالْقَصْدِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ ، وَأَنْ أَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي ، وَأُعْطِيَ مَنْ حَرَمَنِي ، وَأَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي ، وَأَنْ يَكُونَ صَمْتِي فِكْرًا ، وَنَطْقِي ذِكْرًا ، وَنَظَرِي عِبْرًا » .

(١) الجاحظ (البيان والتبيين) مرجع سابق ، ص ٢٢ - ٢٤ ، ج ٢ .

وثلاثُ كلماتٍ رُويت مُرسلةً ، وقد رُويت لأقوامٍ شتى ، وقد يجوز أن يكونوا حكوها ولم يُسندوها . منها قوله : « لو تكاشفتُم لَمَّا تَدافَنتُم » .
ومنها قوله : « النَّاسُ بِأَزْمَانِهِمْ أَشْبَهُ مِنْهُمْ بِأَبَائِهِمْ » . ومنها قوله : « مَا هَلْكَ أَمْرُكَ عَرَفَ قَدْرَهُ » .

وقد ذكر إسماعيل بن عَيَّاش ، عن عبد الله بن دينار قال : قال رسول الله ﷺ :
« إِنْ اللَّهُ كَرِهَ لَكُمْ الْعَبَثَ فِي الصَّلَاةِ ، وَالرَّفَثَ فِي الصَّيَامِ ، وَالضَّحِكَ عِنْدَ الْمَقَابِرِ » .
وقال : « إِذَا أَدْنَتْ فَرَسْلٌ ، وَإِذَا أَقَمْتَ فَاحْذِمِ » .

وحَدَّثَنَا إسماعيل بن عَيَّاش الحمصي ، عن الحسن بن دينار ، عن الخصيب بن جحدر ، عن رجل ، عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ الْمَلُوكُ إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ » .

ومن حديث أنس بن مالك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ » .
وقال : « يَقُولُ اللَّهُ : لَوْلَا رِجَالٌ خُشِعَ ، وَصَبِيَانٌ رُضِعَ ، وَبِهَاتُمُ رُفِعَ ، لَصَبِيتُ عَلَيْكُمْ الْعَذَابَ صَبِيًّا » .

٧- الوصية بالنساء :

ومن أهم وصايا الرسول - عليه الصلاة والسلام - الوصية بالخير للنساء ؛ لأنهن ضعيفات لا يقوين على شيء عنيف ، ولذلك طلب الرسول من أمته أن ترحم النساء وأن تراعى خلقهن ، وأن يحسنوا معاشرتهن ومعاملتهن ، ورأينا فيما سبق كيف أوصانا رسول رب العزة بالنساء في حجة الوداع ، والآن نرى بعضاً من وصايا الرسول ﷺ في النساء ، وفي معاملتهن ومعاشرتهن :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ مَا فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ ، فَإِنْ ذَهَبَتْ نَفْسُهَا كَسَرَتْهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ » (١) .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري ومسلم .

وعن عمرو بن الأخوص الجشمي - رضى الله عنه - أنه سمع النبي ﷺ في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله تعالى ، وأثنى عليه وذكره وعظ ، ثم قال : « ألا واستوصوا بالنساء خيراً ؛ فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ضرباً غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ؛ ألا إن لكم على نسائكم حقاً ، ولنسائكم عليكم حقاً ؛ فحققن عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهن ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهن ، ألا وحقن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن » (١) .

٨- الوصية بعدم سب الصحابة :

والصحابة الكرام قد حصلوا على شهادة من رب العزة : (رضى الله عنهم ورضوا عنه) ، وهم السابقون الذين حملوا مسئولية نشر الدين الإسلامي ، ونشر نور الحق الإسلامي ، ونشر (لا إله إلا الله محمد رسول الله) إلى مشارق الأرض ومغاربها ، الصحابة الكرام البررة هم الذين حملوا أمانة توصيل الرسالة إلينا - رضوان الله عليهم أجمعين - أوصانا الرسول - عليه الصلاة والسلام - بعدم سبهم ولعنهم ، ولم لا ؟ فلقد تأسوا بالرسول - عليه الصلاة والسلام - وتمسكوا بهديه ، وتربوا على يديه من خلال الوصايا التي أوصاهم الرسول - عليه الصلاة والسلام - بها في كل آن وحين ، وهم الذين دافعوا عن الإسلام في مهده حتى أعزه الله على أيديهم ، وفي ذلك تروى لنا أمنا عائشة - رضى الله عنها - : قال الرسول - عليه الصلاة والسلام - : « لا تسبوا أصحابي !!! لعن الله من سب أصحابي » (٢) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٩- الوصية بحب المساكين :

وهي وصية خالدة من الرسول - عليه الصلاة والسلام - لكافة المسلمين ، وهي

(١) أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه الطبراني ، راجع حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ص ٥٢١ ج ٢

وصية أوصى بها الرسول الكريم ﷺ لأكثر من واحد من الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - فقال أبو الدرداء - رضى الله عنه - : « أوصاني رسول الله ﷺ أن أحب المساكين وأن أدنو منهم »^(١).

وفي رواية أخرى يقول أبو الدرداء - رضى الله عنه - : « أمرني خليلي ﷺ بسبع : أمرني بحب المساكين والدنو منهم ، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقى ، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت ، وأمرني أن لا أسأل أحدا شيئا ؛ وأمرني أن أقول بالحق وإن كان مرا ، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم ، وأمرني أن أكثر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله ، فإنهم من كنز حول العرش »^(٢).

وهذه الوصية الجامعة الشاملة تأمر المسلم بحب الخير لصغير الأمة وكبيرها ، ضعيفها وقويها ، وتحبب الأمة في كل مايؤدى لخير دينها ودنياها^(٣).

وحب المساكين يجعل القلوب رقيقة مرهفة ، ويجعل الإيمان يزداد في القلب ، ولم لا ؟ فالمسلم عندما يجلس مع المسكين ويتعرف على أحواله ، فيعرف أنعم الله عليه ، ويعرف أن الله أكرمه ونعمه ، فيقبل على الله شاكرا فضله ونعمه ، فحب المساكين والدنو منهم أمر من رسولنا الكريم ، وسنة وعهد ووصية يجب اتباعها .

١٠- الوصية بالصدق وعدم الكذب :

وفي ذلك عشرات الوصايا من رسول الله ﷺ ، والصدق مُنْج من الهلاك في الدنيا والآخرة ، والصدق لا يمكن أبدا أن يضر صاحبه ، ويكتب الصادق عند الله صديقا، وهذه من الأمور الهامة في حياتنا ، والتي قد يراها بعضنا عرضية ، فتعويد الناس على الصدق قولاً وفعلاً ، وعدم الإتيان أمامهم - وأمام الأطفال خصوصاً - بالكذب قولاً وفعلاً ، والصدق أمامهم دائماً من الأمور التي تجعل تنشئة الناس على الصدق أمراً رائعا ، وتجعلهم سعداء في حياتهم ، بالصدق ، وتجعل استقامة

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) رواه الإمام أحمد والطبراني .

(٣) راجع في ذلك الموضوع : الحافظ أبا فرح بن رجب (اختيار الأولى في شرح حديث اختصاص الملائكة الأعلى) الطائف ،

مكتبة المؤيد . ١٤٠٥ هـ ، ص ٧٥ - ٨٨ .

حياتهم أمرا ميسورا ، وفي ذلك عدة توجيهات ووصايا إسلامية في الصدق وعدم الكذب وتعويد أطفالنا على ذلك وتشجيعهم على قول الصدق :

- قال رسول الله ﷺ : « من قال لصبي : تعال هاك (خذ) ثم لم يعطه ، فهي كذبة » (١)

وهذا الحديث يمنعنا أن نكذب على أطفالنا ولو مازحين ، وإذا وعدناهم فلنوف بوعدهم ، ويدلنا على تعليم الأولاد الصدق قولاً وعملاً .

والكذب مضاد للصدق ، فإذا كان الصدق مُنجياً من المهالك ، فإن الكذب مؤد إليها ؛ ولذلك كانت عاقبة الكذب والمكذبين أليمة في الدنيا وأليمة في الآخرة . ونختار من أحاديث رسول الله ﷺ ما يلي في الوصية بالصدق وعدم الكذب :

فعن ابن مسعود - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ : « إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » (٢) وعن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب - رضى الله عنهما - قال : حفظت من النبي ﷺ « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ؛ فإن الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة » رواه الترمذى .

وعن أبي خالد حكيم بن حزام - رضى الله عنه - قال : قال النبي ﷺ : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما ، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما » (٣)

١١ - الاستعانة بالله والتوكل عليه :

وفي هذه الأمور الهامة في حياتنا الكثير من الوصايا ؛ حتى يكون إسلامنا صحيحاً ، وذلك باليقين الكامل بالكلمة الطيبة : لا إله إلا الله ، ولا معبود ولا

(١) صحيح ، رواه الإمام أحمد .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه الإمام البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى .

مضر ولا معز سواء عز وجل ، وهذا اليقين بالله والاستعانة به والتوكل عليه من أسباب السعادة في الدنيا ، وفي الآخرة يكون لنا الأجر العظيم . وفي هذا المجال نذكر وصية رسول الله إلى أحد الصبيان - وهو ابن عمه - : فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال كُنت خلف النبي ﷺ يوما ، فقال : « يا غلام : إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » (١) .

ومن هذه الوصية الخالدة لرسول الله ﷺ نلاحظ اهتمامه بتوجيه الغلمان والصبيان حتى يشربوا الدين الإسلامي ، ويستعينوا بالله وحده ، ويزدادوا يقينا بالله الواحد الأحد الفرد الصمد ، فاليقين بأنه لا إله إلا الله ، والاستعانة بالله في كل الأمور مفتاح الفوز كما أوضحه هادي البشرية النبي ﷺ ، وهي وصية يجب العمل بها في كل آن وحين .

١٢- إكرام الضيف ووصل الرحم :

وفي ذلك وصية خالدة جامعة ، نختارها من بين الوصايا الثمينة لرسول الله ﷺ في علامات إيمان المؤمن : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَضْمَتْ » (٢) .

١٣- التقوى والدين والأمانة :

وإذا كنا سنخصص الباب الثاني من هذا الكتاب للتقوى ، إلا أنني أقف مشدوها أمام حديث أو حديثين لرسول رب العزة - عليه أفضل الصلاة وأطيب التسليمات - وهي أحاديث قيلت في الوداع ، أي وداع الأصدقاء والأحباب ، وهذان الحديثان يحثان على التمسك بالدين والتقوى والأمانة :

(١) رواه الترمذی وقال : حديث حسن صحيح . ورواه الإمام أحمد برواية أخرى وبإسناد صحيح .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

عن سالم بن عبد الله بن عمر أَنَّ عبدَ الله بنَ عمرَ - رضى الله عنهما - كَانَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا : اذْنُ مِنِّي حَتَّى أُودَّعَكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوَدِّعُنَا ، فَيَقُولُ : « أَشْتَوِدُّعُ اللَّهَ دِينَكَ ، وَأَمَانَتَكَ ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ » (١) .

وعن أنس - رضى الله عنه - قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا ، فَزَوِّدْنِي ، فَقَالَ : « زَوِّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى » قال : زدنى ، قال : « وَغَفَّرَ ذَنْبَكَ » ، قال : زدنى ، قال : « وَيَسِّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ » (٢) .

١٤- الاستخارة لله عز وجل :

وهى من الأمور المستحبة لقضاء الحاجات ، وفى ذلك حديث شريف جامع يقول :

عن جابر - رضى الله عنه - قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ ، يَقُولُ : « إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ ، فَلْيَرْجِعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ . اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي » أَوْ قَالَ : « عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ، فَاقْدُرْهُ لِي ، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي » أَوْ قَالَ : « عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي ، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ » (٣) .

١٥- السلام على الأهل إذا دخلنا منازلنا :

وإفشاء السلام سنة مؤكدة عن رسول الله ﷺ ، وتحية المسلم للمسلم : (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ، ولذلك أوصانا الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

(٣) رواه البخارى .

عليه - بالسلام على الأهل إذا دخلنا منازلنا ؛ لتدخل البركة على البيت كله ،
والوصية تقول :

عن أنس - رضى الله عنه - قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا بُنَيَّ : إِذَا دَخَلْتَ عَلَى
أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ » (١)

١٦- الوصية بعبادة المرضى :

والمرضى ابتلاهم الله - عز وجل - بالمرض ليرى مدى صبرهم ومدى تحملهم
لقدر الله ، فإذا صبروا واحتسبوا ذلك عند الله غفر الله لهم ذنوبهم ؛ ولذلك
أوصانا الرسول الكريم ﷺ بعدة وصايا لزيارة المرضى عسى أن تخفف هذه الزيارات
من آلام المرض ، ومن هذه الوصايا للنبي ﷺ :

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من أصبح منكم صائماً ؟ قال
أبو بكر : أنا ، قال : « من عاد منكم اليوم مريضاً ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : « من
شهد منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : « من أطعم اليوم مسكيناً ؟
قال أبو بكر : أنا ، قال مروان : بلغني أن النبي ﷺ قال :

« ما اجتمع هذه الخصال في رجل في يوم ؛ إلا دخل الجنة » . (٢)

عن جابر قال : دخل النبي ﷺ على أم السائب وهي تزفرف ، فقال : « مالك ؟ »
قالت : الْحُمَّى - أخزاها الله - فقال النبي ﷺ : « مِهْ ، لا تسبيها ؛ فإنها تذهب خطايا
المؤمن كما يذهب الكير خبث الحديد » (٣) عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال :
« يقول الله : ابن آدم استطعمتك ، فلم تطعمني ، قال : فيقول : يارب !! وكيف
استطعمتني ولم أطعمك ، وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلاناً
استطعمك فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو كنت أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ ابن
آدم !! استسقيتك فلم تسقني ، فقال : يارب !! فكيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد .

(٣) رواه الإمام البخارى .

فيقول : إن عبدى فلاناً استسقاك فلم تسقه . أما علمت أنك لو كنت سقيته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم !! مرضت فلم تعدني ، فقال : يارب !! كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلاناً مرض ، فلو كنت عدته لوجدت ذلك عندي ؟ أو وجدته عنده ؟ (١) .

١٧- الوصايا بالأعمال الفاضلة ، وترتيب أحسن الأعمال :

وفي ذلك يوصينا رسول الله ﷺ بترتيب أحسن الأعمال ، والأمر بضرب الأولاد على عدم الصلاة إذا بلغوا السنوات العشر الأولى من عمرهم لتعويدهم على أداء الفرائض ، وفي ذلك يوصي رسول الله ﷺ وصية هامة .

فمن هديه - صلوات الله وسلامه عليه - في الصلاة أن تُحبب فيها أبناءنا منذ نعومة أظفارهم ، ولم لا ؟ ، فالصلاة عماد الدين ، والصلاة تعتبر الفرق بين المسلم والكافر ، والصلاة من أقامها فقد أقام الدين ، ولذلك فقد طلب وأوصى الرسول الكريم ﷺ بأن نعلم أولادنا الصلاة ونحببهم فيها رغم أنها ليست مفروضة إلا على البالغين ، فكان حض رسول الله ﷺ على الأمر بالصلاة للأطفال بمثابة وصية هامة يجب الالتزام بها حتى يعتاد أطفالنا هذه الصلاة ، ويقيموها في مواعيدها بعد ذلك ، بل وقضاء أوقات فراغهم في تعلمها والتدريب عليها . ومن سنن الحبيب المصطفى ﷺ في ذلك :

- قال رسول الله ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » (٢) .

يوضح هذا الحديث الشريف أنه يجب أن نضرب أولادنا على الصلاة في عامهم العاشر ، وهذا الحديث فيه من الوصايا الكثير ، ومن ذلك :

أ - ضرورة تعليم الأولاد كيفية الصلاة وأفعالها وفرائضها وسننها وآدابها منذ سن السابعة وحتى سن العاشرة .

(١) رواه الإمام البخاري .

(٢) رواه الحاكم وأبو داود .

ب - ضرب الأولاد على تركهم للصلاة في سن العاشرة حتى يلتزموا بها ويؤدوها على وجهها الصحيح .

ج - التفرقة بين الأبناء في المضاجع من سن العاشرة حتى يتعودوا على الاستقلال والرجولة بعد ذلك .

وكل هذه وصايا هامة لتنشئة وتربية أولادنا على النهج الصحيح لمعرفة أصول دينهم . ومن الرصايا الهامة في تربية الأولاد على معرفة أصول دينهم مارواه ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال الرسول ﷺ : «اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، ومروا أولادكم بامثال الأوامر واجتناب النواهي ، فذلك وقاية لهم ولكم من النار» (١) .

وكذلك يوضح لنا الرسول الكريم - بعد التربية على الصلاة - الأعمال الفاضلة بالترتيب الذى يحبه الله ورسوله فيوصينا ﷺ :

حدثنا عبد الله بن مسعود ، قال : سألت النبی ﷺ أى العمل أحب إلى الله عز وجل ؟ قال : « الصلاة على وقتها » قلت : ثم أى ؟ قال : « ثم بر الوالدين » قلت : ثم أى ؟ قال : « ثم الجهاد فى سبيل الله » قال : حدثنى بهن ، ولو استزدته لزدنى (٢) .

١٨ - اجتناب الموبقات السبع ، وقد أوصانا الرسول ﷺ بذلك ، ونورد وصيته الخالدة :

حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني ، ثنا ابن وهب ، عن سليمان بن بلال ، عن ثور ابن زيد ، عن أبى الغيث ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ » قيل : يا رسول الله ، وَمَاهُنَّ ؟ قال : « الشُّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسُّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالسَّوْءُ بِيَوْمِ الرَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ » [قال أبو داود : أبو الغيث : سالم مولى ابن مطيع] (٣) .

(١) رواه ابن جرير وابن المنذر

(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد

(٣) رواه أبو داود فى سننه .

١٩- الوصية بالجار :

والوصية بالجار من الوصايا الخالدة لرسول الله ﷺ ، ولم لا ؟؟ ، فالجار هو أقرب الناس لجاره ، فهو أقرب من أخيه ، وأسرته ، وهناك العديد من الوصايا لرسول الله - عليه الصلاة والسلام - ومنها :

عن ابن عمر وعائشة - رضی الله عنهما - قالا : قال رسول الله ﷺ :

« مَا زَالَ جَنْبِلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ » (١) .

وعن أبي ذرٍّ - رضی الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « يَا أَبَا ذَرٍّ : إِذَا طَبَخْتَ مَرْقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا ، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ » (٢) .

وعن أبي هريرة - رضی الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ! » قِيلَ : مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ ! » (٣) .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِمْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُنْ » (٤) .

٢٠- الوصية بالوفاء بالعهود والمواثيق :

وهذه وصية لازمة للحياة الاجتماعية والتعاونية للأمة ؛ لأن الخيانة تورث المجتمع صفات الرذيلة وعدم الأمان ، وفي ذلك يوصينا رسول الله ﷺ بصفات الأمانة حتى لا نخرج عن ملة الإسلام ، وندخل في الرياء والنفاق :

عن أبي هريرة - رضی الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِيَ خَانَ » (٥) .

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) متفق عليه .

(٤) متفق عليه .

(٥) متفق عليه .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال :
«أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُتَأَفِّقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصَلَةٌ مِّنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصَلَةٌ
مِّنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا : إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا
خَاصَمَ فَجَرَ» (١).

٢٠- التحاب في الله وإفشاء السلام :

وفي ذلك التحاب في الله ، وإفشاء السلام عدة وصايا هامة من رسول رب العزة
- عليه الصلاة والسلام - يحدثنا فيها عن إفشاء السلام والتحاب في الله بين
المسلمين .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ :
أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ قال : « تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ
تَعْرِفْ » (٢) .

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ ﷺ
قال : اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلَئِكَ - نَقَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ - فَاسْتَمِعَ مَا يُحْيُونَكَ ،
فَإِنَّهَا نَحْيُكَ وَتَحْيِي دُرِّيَّتَكَ . فقال : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فقالوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، فَرَادَوْهُ : وَرَحْمَةُ اللَّهِ » (٣) .

وعن أبي عُمارة البراء بن عازب - رضى الله عنهما - قال : « أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
بِسَبْعٍ : بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ ، وَنَصْرِ
الضَّعِيفِ ، وَعَوْنِ الْمَظْلُومِ ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ ، وَإِبْرَارِ الْمَقْسِمِ » (٤) .

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

(٣) متفق عليه .

(٤) متفق عليه ، ورواه البخارى بهذا اللفظ .

تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَوَّلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمْوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » (١) .

٢١- الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال :

وهذا الجهاد حبيناً فيه رسول الله ﷺ وأوصانا به لما فيه من خير وفلاح : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سِئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : « الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : « حَجٌّ مَبْرُورٌ » (٢) .

٢٢- الصلاة عليه ﷺ :

وفي هذه الوصية يدلنا الحبيب المصطفى على منابع الخير الكثير في الصلاة عليه : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ صَلَّى عَلَى صَلَاةٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا » (٣) .

وعن أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَأَكْثَرُوا عَلَى مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ » فقالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أُرْمَتْ ؟ ! « قَالَ : يَقُولُ : بَلَيْتَ ، قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ » (٤) .

٢٣- ذكر الله :

وهذه الوصايا هامة في حياتنا ؛ لأنه بذكر الله تطمئن القلوب ، وذكر الله له أساليب عديدة ، ولكن نذكر هذه الوصية النبوية الشريفة للتذكيرة فقط :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى

(١) رواه مسلم .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه الإمام مسلم .

(٤) رواه أبو داود بإسناد صحيح ، وأخرجه أحمد والحاكم

اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ^(١) .

٢٤ - حرمة المسلم على المسلم :

وهذه الوصية الشاملة البليغة ، تُحدد لنا حرمة المسلم على المسلم :
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ » ^(٢) .

٢٥ - إمساك اللسان عن الحديث غير المشروع :

وفي هذه الوصايا يوصينا الحبيب المصطفى - عليه الصلاة والسلام - بإمساك اللسان عن الحديث غير المشروع ، حتى لا نُكَب على وجوهنا يوم القيامة في النار ، ومن وصايا الرسول - عليه الصلاة والسلام - في ذلك :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا ، أَوْ لِيَصْمُتْ » ^(٣) .

٢٦ - عدم التكبر على المسلمين :

وفي ذلك عدة وصايا لرسول الله ﷺ ، يبحثنا فيها على عدم التكبر على المسلمين ، ومن هذه الوصايا الجامعة الشاملة التي تنهانا عن التكبر على خلق الله والتكبر على المسلمين بصفة خاصة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ » ^(٤) .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) رواه مسلم .

قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » فَقَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ، وَتَعْلُهُ حَسَنَةً ، فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ ، وَغَمْطُ النَّاسِ » (١) .

٢٧- الوصية باجتنب الربا :

ولم لا ؟ وإن الربا كان فاحشة وساء سبيلاً ، فالربا سحت ، وأمرنا الرسول الكريم بالبعد عنه تماماً حتى لا يلعننا الله - عز وجل - في وصية شاملة جامعة :

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكَلَ الرَّبَا وَمُوكَلَّهُ » (٢) .

٢٨- الوصية بالتوبة إلى الله في كل آن وحين :

وذلك لأن التوبة تُكفر الذنوب ، وفي ذلك وصايا عديدة للرسول الكريم ﷺ يقول فيها :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا الشُّرَابُ ، وَيَتَوَبَّ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ » (٣) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « يَضْحَكُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - إِلَى رَجُلَيْنِ يَفْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ ، ثُمَّ يَتَوَبَّ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسَلِّمَ فَيُسْتَشْهَدُ » (٤) .

٢٩- الوصية بالصبر والتحمل :

وما أعظم صفات وعاقبة الصابرين ، ولذلك أوصانا رسولنا الكريم محمد بن عبدالله ﷺ بالصبر ، ووضعه ضمن أفضل الأعمال للناس في الحياة الدنيا :

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي .

(٢) رواه مسلم ، وزاد الترمذي « وشأهديه وكاتبه » .

(٣) متفق عليه .

(٤) متفق عليه .

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ ، وَتُبْحَنُ اللَّهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ . كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو ، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا ، أَوْ مُوْبِقُهَا » (١) .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ انْفَقَ كُلُّ شَيْءٍ بِيَدِهِ : « مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ لِعَفْوِ اللَّهِ ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُغْنِهِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ . وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » (٢) .

٣٠ - الوصية بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وفي ذلك جملة من الوصايا لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، نختار مجموعة منها :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » (٣) .

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ خَوَارِثُونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِنِّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ » (٤) .

(١) رواه مسلم ، وأخرجه الترمذى .

(٢) رواه البخارى ومسلم (متفق عليه) .

(٣) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذى والنسائى

(٤) رواه مسلم .

عن أبي الوليد عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - قال : « باتيننا رسول الله ﷺ على السَّمْع والطَّاعَةِ في العُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالنَّشْطِ وَالْمَكْرَهِ ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا ، وَعَلَى أَنْ لَا نَتَّزِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ بُرْهَانٌ ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَانِمٌ » (١).

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ هِنْدِ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ حَدِيثَةً - رضى الله عنها - عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أَمْرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِءَ ، وَمَنْ أَتَكَرَّ فَقَدْ سَلِمَ ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ » قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَقَاتِلُهُمْ ؟ قَالَ : « لَا ، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ » (٢).

عن أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - قال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَتَقْرَأُونَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٥] وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ » (٣).

٣١- الوصايا بالتواضع لله عز وجل :

وهي من الوصايا النافعة ، والتواضع عكس التكبر ، وإذا كان التكبر والتكبر يؤدي إلى نار جهنم - والعياذ بالله - فإن التواضع يؤدي إلى رحاب جنات الله .

وقد حضنا رسولنا الكريم الحبيب المصطفى ﷺ على هذا الخلق القويم : على التواضع ، حتى يرفعنا الله - عز وجل - إلى عليين إن شاء الله في جنات النعيم ، وفي ذلك عدد من الوصايا لرسول الله ﷺ ، نذكر منها :

عن عياض بن حمار - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ » (٤).

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه

(٢) رواه الإمام مسلم

(٣) رواه أبو داود والترمذى والنسائى بأسانيد صحيحة .

(٤) رواه مسلم .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ » (١) .

٣٢- الوصية بالحلم والأناة :

وما أروع من خلق ، عندما يتخلق الإنسان بالحلم والأناة ، وهى من الوصايا الجامعة الشاملة لرسول الله ﷺ ، نختار منها هذه الوصايا :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ : « إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْحِلْمُ وَالْأَنَاءَةُ » (٢) .

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرُّفُقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ » (٣) .

كانت تلك مجموعة مختارة من هدى سيد المرسلين الرسول المصطفى ﷺ وهو بحق قبس يسير من نور هديه العظيم الهادى للحق ، والمنقذ من الضلال ، والمودى إلى الجنة ونعيمها .

وكما قلنا ، فإن كل سنة الحبيب المصطفى ﷺ هى وصايا واجبة الاتباع فورا ، ولا يجوز إهمالها ولو للحظة واحدة ، ولا يجوز التفاضى عنها حتى يحشرنا الله - عز وجل - يوم الحساب فى زمرة - عليه الصلاة والسلام - وحتى نشرب من يديه الكريمتين الشريفتين شربة هنيئة مريئة من حوضه - عليه الصلاة والسلام - لا نظماً بعدها أبدا .

* * *

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم وأبو داود

(٣) رواه البخارى ومسلم وأحمد .

الفصل الثانى

**من وصايا الصحابة
والصالحين والتابعين**

وصايا خالدة

للخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم

إذا كان رسول الله ﷺ قد قال في حديثه الشريف :

« عليكم بستى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها » (١).

فإن وصايا الخلفاء الراشدين الأربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - رضوا الله عليهم أجمعين - تعتبر سنة واجبة الاتباع ، وعهدا يجب الحفاظ عليه ، كوصايا الرسول الكريم لأنها منبثقة عنها ، ولأنهم لم يوصوا بها إلا نتيجة خبرة كبيرة بالجوار والجلوس والاستماع ومشاهدة رسول الله ﷺ ، وكذلك لأن نور الإسلام ونور القرآن ونور هدى النبي ﷺ دخل في قلوبهم ، فتمسكوا بهذا النور وذلك الضياء ، وأرشدونا إلى جوانب من هذا النور ، ولم لا ؟؟ فالصحابة الكرام البررة - وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون - من أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ في حياته ، وهم حملة لواء الإسلام بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى - عليه الصلاة والسلام - ولذلك وجب علينا اتباع وصاياهم لأنها سنة وعهد وميثاق بعد القرآن الكريم وسنة الرسول المصطفى - عليه الصلاة والسلام .

وستقرأ معاً في هذه الوصايا الخالدة للخلفاء الراشدين أنهم كانوا يوصون بعضهم البعض ، دون حساسية ، ولم لا ؟ أليس الدين النصيحة ، وأليس هناك درجات السابقين السابقين من المهاجرين والأنصار ؟ فهذا أبو بكر يوصى سيدنا عمر - رضى الله عنهما - ولذلك فالوصية واجبة النفاذ لأنها من خليفة رسول الله - عليه الصلاة والسلام - إلى خليفة خليفة رسول الله ، وبالفعل ، كانت وصاياهم نوراً يهدى إلى

(١) أخرجه الإمام أحمد .

الحق، وكانت وصاياهم نورا يُهتدى به ، ولعلنا عندما نعرفهم ، ونحبهم ، ونعمل بوصاياهم ، ونعمل عملا قريبا من عملهم ، يحشرنا الله - عز وجل - وإياهم يوم القيامة ، إنه نعم السميع ونعم المجيب .

كما أن وصاياهم تعتبر - وبحق - نورا يضيء لنا طريق الحق والإيمان ، ونورا يهدي التابعين وتابعي التابعين إلى يوم الدين ، لماذا ؟ لأنه صادر عن أشرف فئة من المسلمين المؤمنين المحسنين ، وهم الذين (رضى الله عنهم ورضوا عنه) .

إن وصايا الخلفاء الراشدين أتت من حكمة وخبرة وممارسة ومجاورة ، واحتكاك مباشر في أيام الإسلام الأولى ، فالوصايا هي خلاصة الجهد والعرق ، وهذه الوصايا فاز الصحابة الكرام بالسعادة في الدنيا والسعادة في الآخرة وجنتها ، جعلنا الله جميعا من أهلها آمين يارب العالمين .

وإذا كان في وصاياهم النور الذي يهدي به الله إلى الطريق القويم ، بعد القرآن وسنة الحبيب المصطفى - عليه الصلاة والسلام - فلا بد أن تلمس طريقهم ، باتباع وصاياهم العامة والخاصة ، وبهذا الأسلوب نفوز ، كما فازوا ، ونعز ، كما عزوا ، وباتباع وصاياهم ينشرح صدورنا للإيمان ، ونعرف بمشيئة الله نور الإيمان والقرآن والإسلام ، وما أروع أن ينشرح صدر مسلم بهذه الأنوار الربانية ، ويدخل نور القرآن والإسلام صدورنا ، ما أروع ذلك ، وعسى أن نكون مثل الصحابة إذا تشبهنا بهم باتباع وصاياهم ، فيحشرنا الله معهم في جنات النعيم ؛ لأن من أحب قوما حشر معهم يوم القيامة .

وفي هذا المجال ، ستعرض إلى العديد من الوصايا العامة والخاصة للخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم - عسى أن ينفعنا بها الله .

أ- وصايا الخليفة الأول

أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وأبو بكر الصديق وزير رسول الله وصاحبه فى الهجرة ، وأول من آمن به - عليه الصلاة والسلام - ، ومنفق ماله كله فى سبيل الله ، وخليفة رسول الله - عليه الصلاة والسلام - ومن هنا فوصاياه هامة للغاية ، ووصاياه عديدة ، نختار منها عدة وصايا لنعرف المنهج الذى كان يسير عليه خلفاء رسول الله - عليه الصلاة والسلام - وهو منهج النور والإيمان .

١- وصيته - رضى الله عنه - عند موته :

ونستفتح بهذه الوصية لأنها هامة جدا ، وتبين اليقين الكامل ، فماذا يقول فيها ؟ يقول - رضى الله عنه - (١) :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا عهد من أبى بكر الصديق ، عند آخر عهده بالدنيا خارجاً منها ، وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها ، حيث يؤمن الكافر ، ويتقى الفاجر ، ويصدق الكاذب ، إنى استخلفت من بعدى عمر بن الخطاب . فإن عدل فذلك ظنى فيه ، وإن جار وبدل فالخير أردت ، ولا أعلم الغيب »
﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾

[الشعراء : ٢٢٧] .

٢ - ثم بعث إلى عمر - رضى الله عنه - فدعاه ، بعد أن أوصى المسلمين ، يوصى الخليفة القادم على المسلمين ، وسبحان الله ، لا ينسى المسلمين ، ثم لا ينسى خليفته من بعده ، فيوصيه بالأمة فيقول له (٢) :

(١) راجع حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ .

« يا عمر ! أبغضك مبغض ، وأحبك محب ، وقدا يبغض الخير ويحب الشر . قال : فلا حاجة لي فيها . قال : لكن لها بك حاجة ، وقد رأيت رسول الله ﷺ وصحبته ، ورأيت أثرته أنفسنا على نفسه ، حتى أن كنا لنهدى لأهله فضل ما يأتينا منه ، ورأيتني وصحبتي ، وإننا اتبعنا أثر من كان قبلي ، والله ! ما نمت فحلمت ، ولا شهدت فتوهمت ، وإنني لعل طريق ما زغت ، تعلم يا عمر ! إن الله حقاً في الليل لا يقبله بالنهار ، وحقاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإننا ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق ، وحق لميزان أن يثقل لا يكون فيه إلا الحق ، وإننا خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل ، وحق لميزان أن يخف لا يكون فيه إلا الباطل . إن أول ما أحذرك نفسك ، وأحذرك الناس فإنهم قد طمحت أبصارهم ، وانتفخت أهواؤهم ، وإن لهم الخيرة عن زلة تكون ، فإياه تكونه ، فإنهم لن يزلوا خائفين لك فَرِيقَيْنِ منك ما خفت الله وَفَرِيقَتَهُ . وهذه وصيتي . وأقرأ عليك السلام ! » .

٣ - وكان سيدنا أبو بكر عندما عزم على استخلاف عمر بن الخطاب من بعده ، كان قد أوصاه بوصية خالدة ، وهذه الوصية تكمّلها الوصية السابقة ، ومنها يظهر حرصه - رضی الله عنه - أن يُذكر عمر بن الخطاب - رضی الله عنه - في الأول والآخر حتى يكون قد عمل ما يرضى ضميره ، ويقول في وصيته (١) :

« إنني أدعوك إلى أمر متعب لمن وليه ، فاتق الله يا عمر ! بطاعته ، وأطعه بتقواه ، فإن التقى أمر محفوظ . ثم إن الأمر معروض لا يستوجب إلا من عمل به ؛ فمن أمر بالحق وعمل بالباطل ، وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر يوشك أن تنقطع أمنيته وأن يحبط به عمله . فإن أنت وليت عليهم أمرهم فإن استطعت أن تحف يدك من دمائهم ، وأن تضمر بطنك من أمواتهم ، وأن تحف لسانك عن أعراضهم فافعل . ولا قوة إلا بالله » .

٤ - وصية أخرى لسيدنا أبي بكر الصديق :

وعندما حضرت الوفاة سيدنا أبا بكر الصديق ، دعا عمر بن الخطاب - رضی الله

(١) أخرجه الطبراني عن الأغر (أغر بن مالك) راجع حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، وكذلك نحية الصحابة ، مرجع سابق ص ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ .

عنه وعن أبي بكر - ، وقال له في وصية جامعة شاملة ^(١) :

« اتق الله يا عمر ! واعلم أن الله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم ، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً . وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ، فإذا ذكرتهم قلت : إنني لأخاف ألا ألحق بهم ، وإن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ، ورد عليهم أحسنه ، فإذا ذكرتهم قلت : إنني أخاف أن أكون مع هؤلاء . وذكر آية الرحمة وآية العذاب ، فيكون العبد راغباً راهباً ، ولا يتمنى على الله غير الحق ، ولا يقنط من رحمته ، ولا يلقي بيديه إلى الهلكة ، فإن أنت حفظت وصيتي فلا يك غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك ، وإن أنت ضيعت وصيتي فلا يك غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجزه » .

٥- وصيته إلى عمرو بن العاص عندما خرج إلى الشام :

وأوصى أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - عمرو بن العاص وصية خالدة ، تبرز مدى سماحة الإسلام ؛ لأن عمرو بن العاص خرج غازياً لبلاد الشام ، فلم يشأ أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - أن يتركه يخرج دون وصية . يقول فيها ^(٢) :

« يا عمرو ! اتق الله في سرائرك وعلايتك واستحيه ؛ فإنه يراك ويرى عملك ؛ وقد رأيت تقديمي إياك على من هم أقدم سابقة منك ، ومن كان أعظم غنى عن الإسلام وأهله منك . فكن من عمال الآخرة ، وأرد بما تعمل وجه الله ، وكن والداً لمن معك ، ولا تكشفن الناس عن أستارهم ، واكتف بعلايتهم ، وكن مجداً في أمرك ، واصدق اللقاء إذا لقيت ولا تجبن ، وتقدم في الغلول وعاقب عليه ، وإذا وعظت أصحابك فأوجز ، وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك » .

(١) رواه ابن المبارك وغيره . راجع البيان والتبيين للجاحظ ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ٤٥ ، وكذلك حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ٨٨ .

(٢) أخرجه ابن سعد عن عبد الله بن أبي بكر ، راجع المرجع السابق ، ص ٨٩ ، ج ٢ .

٦- وصيته إلى ولاية الصدقة :

وعندما ولى أبو بكر الصديق عَمْرًا والوليد بن عقبة - رضى الله عنهم وأرضاهم - على أموال الصدقات والزكاة ، أوصاهم وصايا خالدة قال فيها ^(١) :

« اتق الله فى السر والعلانية ؛ فإنه ﴿ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَنَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢- ٣] ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ * وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ [الطلاق : ٥]

فإن تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله ، إنك فى سبيل من سبيل الله ، لا يسعك فيه الأدهان والتفريط ، ولا الغفلة عما فيه قوام دينكم وعصمة أمركم ، فلا تن ولا تفر .

٧- وصيته - رضوان الله عليه - إلى عمرو بن العاص عندما أرسل إليه المدد :

وإمدادات الجيش مهمة جدا ؛ ولذلك لا بد أن يوصى الخليفة حتى يتعاون الجميع لخدمة الإسلام ، فإن الإمدادات هامة للجيش ، ولابد أن تتعاون هذه الجيوش لخدمة المقصد من خروجها ^(٢) :

« إنى كتبت إلى خالد بن الوليد ليسير إليك مدداً لك ، فإذا قدم عليك فأحسن مصاحبتك ، ولا تطاول عليه ، ولا تقطع الأمور دونه لتقديمى إياك عليه وعلى غيره ، شاورهم ولا تخالفهم » .

٨- وصية أخرى لعمر بن العاص :

وذلك لأن الجيوش كثرت تحت إمرته فى الشام ، وأرسل له الخليفة الإمدادات اللازمة ، وأرسل إليه بوصية لعله يتذكر فتفعه الذكرى ، فقال له ^(٣) :

(١) أخرجه ابن جرير الطبرى عن القاسم بن محمد ، وأخرجه ابن عساکر ، المرجع السابق ص ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) أخرجه ابن سعد ، راجع المرجع السابق ص ٩٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٠ .

« إننى قد استعملتك على من مررت به من بلى ، وعذرة ، وسائر قضاة ، ومن سقط هناك من العرب ، فاندبهم إلى الجهاد في سبيل الله ورغبهم فيه ، فمن تبعك منهم فاحمله ، وزوده ووافق بينهم ، واجعل كل قبيلة على حدتها ومنزلتها » .

٩- وصيته لشرحبيل بن حسنة - رضى الله عنهما - :

وهى وصية للجهاد في سبيل الله ، تحدد الحقوق والواجبات بدقة متناهية ، متأسيا برسول الله - عليه الصلاة والسلام - يقول له ^(١) :

« انظر خالد بن سعيد ، فاعرف له من الحق عليك مثل ما كنت تحب أن يعرفه لك من الحق عليه لو خرج والياً عليك ، وقد عرفت مكانه من الإسلام ، وإن رسول الله ﷺ توفى وهو له وال ، وقد كنت وليته ، ثم رأيت عزله ، وعسى أن يكون ذلك خيراً له في دينه ، ما أغبط أحداً بالإمارة ، وقد خيرته في أمراء الأجناد ، فاختارك على غيرك وعلى ابن عمه . فإذا نزل بك أمر تحتاج فيه إلى رأى التقي الناصح فليكن أول من تبدأ به أبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وليك ثالثاً خالد بن سعيد ، فإنك واجد عندهم نصحاً وخيراً ، وإياك واستبداد الرأى عنهم أو تطوى عنهم بعض الخبر » .

١٠- وصيته إلى يزيد بن أبى سفيان - رضى الله عنهما - :

وفى هذه الوصية يبرز خليفة رسول الله وصايا هامة للشباب لتحمل مسئوليتهم في خدمة الإسلام والمسلمين ، فقال له ^(٢) :

« يا يزيد ! إنك شاب ، تذكر بخير قد رئى منك ، وذلك لشيء خلوت به في نفسك ، وقد أردت أن أبلوك وأستخرجك من أهلك ، فانظر كيف أنت ؟ وكيف ولايتك ؟ وأخبرك فإن أحسنت زدتك ، وإن أسأت عزلتك ، وقد وليتك عمل خالد بن سعيد » .

وأوصاه فقال له ^(٣) :

« يا يزيد ! إن لك قرابة عسيت تؤثرهم بالإمارة ، وذلك أكبر ما أخاف عليك ؛ فإن رسول الله ﷺ قال : « من ولى من أمور المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محابة له بغير

(١) المرجع السابق ص ٩١ .

(٢) المرجع السابق ص ٩١ ، ٩٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٩٢ .

حق فعلية لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم ، ومن أعطى أحداً من مال أخيه محابة له فعلية لعنة الله - أو قال - برئت منه ذمة الله . إن الله دعا الناس إلى أن يؤمنوا بالله فيكونوا حمى الله ، فمن انتهك في حمى الله شيئاً بغير حق فعلية لعنة الله - أو قال - برئت منه ذمة الله عز وجل .

١١- وصيته في خطبة توليه الحكم :

ونختتم بما بدأ به أبو بكر الصديق عندما تولى أمور المسلمين ، في أول خطبة له ، عندما اختير خليفة لرسول الله ﷺ فقد أوضح في هذه الخطبة وصاياه وسلوكه في سياسة الأمة وقيادتها وبيان حالها ، وما يجب أن تكون عليه ، وكيفية حكم المسلمين بعد انتقال رسول الله - عليه الصلاة والسلام - إلى الرفيق الأعلى . قال - رضوان الله عليه - (١) :

« أيها الناس : قد وليت عليكم ولست بخير منكم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن صدفت فقوموني . الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ له حقه ، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لا يدع أحد منكم الجهاد ؛ فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله » .

١٢- وصية أبي بكر الصديق إلى رافع الطائي :

أوصى أبو بكر الصديق الصحابي الجليل رافع الطائي - رضى الله عنهما - وذلك أثناء صحبتها معاً في إحدى الغزوات ، فلم يرد أن يترك المناسبة تمر دون وصية ، يُذكر فيها بالآخرة والحقوق التي على المسلم فأوصاه فقال له (٢) :

(أقم الصلاة المكتوبة لوقتها ، وأدّ زكاة مالك طيبة بها نفسك ، وصم رمضان ، وحج البيت ، واعلم أن الهجرة في الإسلام حسن ، وأن الجهاد في الهجرة حسن ، ولا تكون أميراً) ثم قال :

(١) راجع : عبد الوهاب النجار : الخلفاء الراشدون ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧م ، ط ١ ، ص ٣٥ .

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد ، راجع حياة الصحابة ، ج ٢ ، ص ٤٢ .

(هذه الإمارة التى ترى اليوم سيرة أوشكت أن تفشو وتكثر حتى ينالها من ليس بأهل لها ، وإنه من يكن أميراً فإنه من أطول الناس حساباً وأغلظهم عذاباً ، ومن لا يكون أميراً فإنه من أيسر الناس حساباً وأهونه عذاباً ؛ لأن الأمراء أقرب الناس من ظلم المؤمنين ، ومن يظلم المؤمنين فإنما يخفر الله ، هم جيران الله ، وهم عباد الله ، والله إن أحدكم لتصاب شاة جاره أو بعير جاره فيبيت واربم الفضل ، يقول شاة جارى أو بعير جارى ، فإن الله أحق أن يغضب لجاره) .

هذه الوصايا الثمينة التى أوصى بها خليفة رسول الله ، نجدها تدور حول تنظيم أمور الدولة وتولى الأصلح من بعده ، وتدور حول تقوى الله - عز وجل - فى السر والعلن ، ومعرفة حلاله والبعد عن حرامه ، والعدل والشورى بين الناس ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والحكم فى الأمة بما يرضى الله - عز وجل - وكلها أمور لابد أن تلتصق بالمسلم المؤمن ، حتى يرتقى إلى الدرجات التى وصل إليها صحابة رسول الله - عليه الصلاة والسلام - من الإيمان الكامل واليقين بالخالق - عز وجل - والإحسان .

* * *

ب- وصايا الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وعمر بن الخطاب له مآثر عديدة في حياة المسلمين ، فلقد فتح الله في عهده مشارق الأرض ومغاربها ، وقد قال عنه رسول الله ﷺ : « إن الشيطان إذا رأى عمر ابن الخطاب يسلك فجاً سلك فجاً آخر » دليلاً على بأسه وقوة إيمانه .

وعن عمر بن الخطاب آلاف الوصايا الإسلامية الهامة في حياتنا ، وهي وصايا كثيرة متنوعة ، ولم لا ؟؟ فعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أمير المؤمنين ، ومن أوائل الصحابة المسلمين ، ومعروف بالشدة في الحق ، فلا عجب أن يكون أمير المؤمنين عمر بن الخطاب موصياً بحكم بليغة وعهود موثقة ، ونختار بعضاً من هذه الوصايا :

١- وصيته إلى أبي موسى الأشعري - رضى الله عنهما :-

كتب سيدنا عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري وصية هامة تقول^(١) :
« اقنع بروحك في الدنيا ، فإن الرحمن فضل عباده على بعض في الرزق ، بل يبتلى به كلاً ، فيبتلى من بسط له كيف شكره فيه ، وشكره لله أدأؤه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوله » .

٢- وصيته إلى رجل من الأنصار :

وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - موصياً رجلاً من الأنصار وصية شاملة جامعة بليغة نلحظ في ثناياها القوة والعزيمة :

(١) راجع : حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٢٩ .

« لا تتكلم فيما لا يعينك ، واعرف عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين ، ولا أمين إلا من يخشى الله تعالى ، ولا تنس مع الفاجر فيعلمك من فجوره ، ولا تطلعه على سرك ، ولا تُشاور في أمرك إلا الذين يخشون الله عز وجل » (١) .

٣- وصية عامة لكافة الناس :

وأوصى عمر بن الخطاب الناس ذات يوم عندما خطب فيهم فقال لهم (٢) :
« ما أبالي على أى حال أصبحت على ما أحب أو على ما أكره ؛ لأنى لا أدرى الخير فى ما أحب أو فى ما أكره »

٤- وصيته للأحنف بن قيس - رضى الله عنهما - :

وأوصى عمر الأحنف بن قيس وصية لابد أن نقرأها جيدا فى هذا العصر الذى بعدنا فيه عن تعاليم الإسلام الصحيحة بسبل الأفلام والمسرحيات والتمثيلات الكوميديّة والى تُميت القلوب المؤمنة ، قال له عمر فى هذه الوصية :

« يا أحنف : من كثر ضحكك قلت هيئته ، ومن مزح استُخِفَّ به ، ومن أكثر من شىء عُرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه » (٣) .

٥- وصيته - رضى الله عنه - إلى الخليفة الذى سيأتى بعده :

ونحن نعرف جميعا قصة الخليفة الذى أتى بعد عمر بن الخطاب ، وكيف جمع عمر خيرة الأمة ليختاروا واحدا فيما بينهم لتولى الخلافة ، وعين ابنه سكرتيرا (بالمفهوم المعاصر) لهذه اللجنة حتى يتم الاختيار .

وفى هذه الوصية التى وجهها إلى واحد لا يعرفه بالاسم ، يتضح سعة الأفق

(١) أبو بكر الجزائري : العلم والعلماء ، جدة ، دار الشروق ، ١٩٨٦م ، ط٢ ، ص ١٧٠ .

(٢) حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ص ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ج ٢ ، وأخرجه ابن المبارك والعسكرى .

(٣) أبو بكر الجزائري : مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

وتوسع الأمر والفكر لديه - رضى الله عنه - وتبين أن هذه الوصية خالصة لوجه الله تعالى ، قال فيها عمر - رضى الله عنه - (١) :

أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً : أن تعرف لهم سابقتهم . وأوصيك بالأنصار خيراً ؛ فاقبل من محسنهم ، وتجاوز عن مسيئتهم . وأوصيك بأهل الأمصار خيراً ؛ فإنهم رذء العدو ، وجبابة الأموال والقيء ، لا تحمِل فيهم إلا عن فضل منهم . وأوصيك بأهل البادية خيراً ؛ فإنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام : أن تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم ، فترد على فقرائهم . وأوصيك بأهل الذمة خيراً : أن تقاتل من ورائهم ، ولا تكلفهم فوق طاقتهم ، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً أو عن يد وهم صاغرون . وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ، وخافة مقتته ؛ أن يطلع منك على ريبة . وأوصيك أن تحشى الله في الناس ولا تحشى الناس في الله . وأوصيك بالعدل في الرعية ، والتفرغ لحوائجهم ونفوسهم . ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم ، فإن ذلك - بإذن الله - سلامة لقلبك ، وخط لوزرك ، وخير في عاقبة أمرك ، حتى تفضي من ذلك إلى من يعرف سريرتك ، ويحول بينك وبين قلبك . وأمرك أن تشتد في أمر الله ، وفي حدوده ومعاصيه ، على قريب الناس وبعيدهم ، ثم لا تأخذك في أحد الرافة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حُرمة . واجعل الناس سواء عندك ، لا تبالى على من وجب الحق ، ولا تأخذك في الله لومة لائم . وإياك والأثرة والمحابة فيما ولاك الله مما أفاء الله على المؤمنين ، فتجور وتظلم ، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك .

وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة ، فإن اقترفت للدنيا عدلاً وعفة عما بسط الله لك ؛ اقترفت به إيماناً ورضواناً ، وإن غلبك عليه الهوى ومالت بك شهوة ، اقترفت به سُخط الله ومعاصيه . وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وأبو عبيد ، والنسائي ، راجع : الجاحظ في البيان والتبيين ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ٤٦ - ٤٨ ، وكذلك حياة الصحابة للكاندهلوى ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٩٣ .

الذمة . وقد أوصيتك وحضضتُك ، ونصحت لك ، أبتغى بذلك وجه الله والدار الآخرة . واخترتُ من دلائلك ما كنتُ دالاً عليه نفسى وولدى ، فإن عملتَ بالذى وعظمتُك ، وانتهيتَ إلى الذى أمرتُك ، أخذتَ به نصيباً وافياً ، وحظاً وافراً . وإن لم تقبل ذلك ولم يهتِك ، ولم تُنزِلْ معازم الأمور عند الذى يرضى الله به عنك ، يكن ذلك بك انتقاصاً ، ورأيك فيه مدخولاً ؛ لأن الأهواء مشتركة ، ورأس كل خطيئة ، والداعى إلى كل هلكة إبليس ؛ وقد أضلَّ القرون السالفة قبلك فأوردتهم النار ، ولبس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة لعدو الله ، والداعى إلى معاصيه ! ثم اركب الحق وخض إليه الغمرات ، وكن واعظاً لنفسك ، وأنشدك الله لئلا ترحم على جماعة المسلمين فأجلكت كبيرهم ، ورجمت صغيرهم ، ووقزت عالمهم ، ولا تضربهم فيدلوا ، ولا تستأثر عليهم بالقى فتغضبهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقروهم ، ولا تجمرهم في البعث فتقطع نسلهم ، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك دونهم فيما كل قويمهم ضعيفهم .

هذه وصيتى إياك ، وأشهد الله عليك ، وأقرأ عليك السلام .

وأخرج ابن سعد [ج ٣ ص ١٩٧] ، وابن عساكر عن القاسم بن محمد قال : قال عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- :

« ليعلم من ولى هذا الأمر من بعدى أن سيريده عنه القريب والبعيد ، إنى لأقاتل الناس عن نفسى قتالاً ، ولو علمت أن أحداً من الناس أقوى عليه منى لكنت أقدم فيضرب عنقى أحب إلى من أن أسعى إليه » .

٦- وصيته -رضى الله عنه- إلى أبى عبيدة بن الجراح -رضى الله عنه- :

وأوصى عمر بن الخطاب -وهو أمير المؤمنين- أبا عبيدة بن الجراح -رضى الله عنه- حينما ولاه قيادة جيوش المسلمين فى الشام ، وكان أول كتاب كتبه عمر بن الخطاب بعد أن تولى الخلافة ، وفيه أيضاً ولى أبا عبيدة بن الجراح على جند خالد بن الوليد -رضى

الله عنهما - وفيه أوصاه بأخلاق فاضلة ، وحسن معاملة القادة السابقين ، واستشارتهم في كل الأمور التي تهم الجيوش ، وهكذا نرى كيف كان أمير المؤمنين حريصاً على مصالح المسلمين^(١) :

« أوصيك بتقوى الله الذى يبقى ويفنى ما سواه ، الذى هدانا من الضلالة ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد ، فقم بأمرهم الذى يحق عليك ، لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم ، وتعلم كيف مأتاه ، ولا تبعث سرية إلا في كثف من الناس ، وإياك وإلقاء المسلمين في الهلكة ، وقد أهلك الله بى وأبلاني بك ، فغمض بصرك عن الدنيا وآله قلبك عنها ، وإياك أن تهلكك كما أهلكك من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعهم » .

٧ - خطبته - رضى الله عنه - في أصول الحكم :

وله جملة من الوصايا الهامة في خطبته - رضى الله عنه - نقتبس هذه الوصايا من بينها ، يقول^(٢) :

قال طلحة بن معدان : خطبنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فقال : أيها الناس ! إنه لم يبلغ ذو حق في حقه أن يطاع في معصية الله ، وإنى لا أجد هذا المال يصلحه إلا خلال ثلاث : أن يؤخذ بالحق ، ويعطى في الحق ، ويمنع من الباطل ؛ وإنما أنا ومالك كولى اليتيم ، إن استغنيت استعفت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، ولست أدع أحداً يظلم أحداً ويعتدى عليه . حتى أضع خده على الأرض وأضع قدمي على الخد الآخر ، حتى يذعن للحق .

ولكم على أيها الناس خصال أذكرها لكم ، فخذوني بها : لكم على أن لا أجتبى شيئاً من خراجكم ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه ، ولكم على إذا وقع في يدي أن لا

(١) راجع : حياة الصحابة ، المرجع السابق ، ص ٩٤ ، وأخرجه ابن جرير .

(٢) أبو الحسن الندوى ، مختارات من أدب العرب ، مرجع سابق ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

يخرج مني إلا في حقه ، ولكم على أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم - إن شاء الله - وأسد ثغوركم . ولكم على أن لا ألقىكم في المهالك ولا أجركم في ثغوركم .

وقد اقترب منكم زمان قليل الأمناء كثير القراء ، قليل الفقهاء كثير الأمل ، يعمل فيه أقوام للآخرة يطلبون به دنيا عريضة تأكل دين صاحبها كما تأكل النار الحطب ، ألا كل من أدرك ذلك منكم فليتنق الله ربه وليصبر .

يا أيها الناس ! إن الله عظم حقه فوق حق خلقه ، فقال فينا عظم من حقه : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٠] ألا وإنى لم أبعثكم أمراء ولا جبارين ، ولكن بعثكم أئمة الهدى يهتدى بكم ، فأدروا على المسلمين حقوقهم ، ولا تضربوهم فتذلّوهم ، ولا تحمّوهم فتفتنّوهم ، ولا تغلقوا الأبواب دونهم فيأكل قلوبهم ضعيفهم ، ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم ، ولا تجهلوا عليهم ؛ وقاتلوا بهم الكفار طاعتهم ، فإذا رأيتم بهم كلاله فكفوا عن ذلك ؛ فإن ذلك أبلغ في جهاد عدوكم . أيها الناس : إنى أشهدكم على أمراء الأمصار ، إنى لم أبعثهم إلا ليفقهوا الناس في دينهم ، ويقسموا عليهم فيتهم ، ويحكموا بينهم ، فإن أشكل عليهم شيء رفعوه إلى » .

٨- وصيته - رضى الله عنه - إلى سعد بن أبي وقاص :

وفي هذه الوصية حكمة بالغة بأن لا ينخدع الناس بقرابتهم من رسول الله ، وفي ذلك يوصى سيدنا عمر سعد بن أبي وقاص وصيتين : قبل التعيين ، وبعده ، فيقول^(١) :

« يا سعد سعد بن وهيب ! لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ وصاحب رسول الله ؛ فإن الله - عز وجل - لا يمحو السوء بالسوء ولكنه يمحو السوء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر

(١) أخرجه ابن جرير ، راجع : يوسف الكاندهلوى ، حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

الأمر الذى رأيت النبى ﷺ عليه منذ بعث إلى أن فارقنا ، فالزمه فإنه الأمر . هذه عظتى إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين .
ولما أراد أن يسرحه دعاه فقال :

« إني قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتى ، فإنك تقدم على أمر شديد كربه لا يخلص منه إلا الحق ، فعود نفسك ومن معك الخير ، واستفتح به ، واعلم أن لكل عادة عتاداً ، فتعاد الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نأبك ، يجتمع لك خشية الله ، واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين : في طاعته ، واجتناب معصيته ، وإنما أطاعه من أطاعه يفيض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه يحب الدنيا وبغض الآخرة ، وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاءً ، منها السر ، ومنها العلانية . فأما العلانية فأن يكون حامده وذامه في الحق سواء ، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحببة الناس ، فلا تزهّد في التحجب ، فإن النبيّن قد سألوا محبتهم ، وإن الله إذا أحب عبداً خبى به ، وإذا أبغض عبداً بغضه ؛ فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك في أمرك » .

٩- وصيته-رضى الله عنه-عقب مبايعته أميراً للمؤمنين :

وبعد أن بويع عمر بن الخطاب أميراً للمؤمنين ، بعد وفاة أبى بكر الصديق ، صعد المنبر ، وقال كلمة قصيرة جامعة اشتملت على سياسته ، فقال فيها^(١) :
« إنما مثل العرب كمثل جل أنف اتبع قائده ، فلينظر قائده أين يقوده ، أما أنا فو رب الكعبة لأحملنكم على الطريق » .

١٠- وصيته إلى أبى موسى الأشعرى :

ومن وصاياه الخالدة هذه الوصايا العديدة إلى أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه-^(٢) :

(١) راجع : عبد الوهاب النجار : الخلفاء الراشدون ، مرجع سابق ، ص ١٠٩ .
(٢) أخرجه الدينورى ، راجع حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ص ٩٧ ، وأيضاً ٩٨ .

« أما بعد ! فإن للناس نفرة من سلطانهم ، فأعوذ بالله أن تدركنى وإياك ، فأقم الحدود ولو ساعة من النهار ، وإذا حضر أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فأثر نصيبك من الله ، فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى ، وأخف الفساد ، واجعلهم يداً يداً ورجلاً رجلاً ، عد مريض المسلمين ، واحضر جنازتهم ، وافتح بابك ، وياشر أمورهم بنفسك ، فإنما أنت رجل منهم ، غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً . وقد بلغنى أنه نشأ لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ، ومطعمك ، ومركبك ليس للمسلمين مثلها . فإياك يا عبدالله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت يواد خصب فلم يكن لها هم إلا التسمن ، وإنما حثفها في السمن . واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته ، وأشقى الناس من شقيت به رعيته » .

« أما بعد ! فإن القوة في العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم للغد ، فإنكم إذا فعلتم ذلك تداركت عليكم الأعمال فلا تدرون أيها تأخذون فأضعتم ؛ فإن خيرتم بين أمرين أحدهما للدنيا والآخر للآخرة ، فاختاروا أمر الآخرة على أمر الدنيا ، فإن الدنيا تفنى والآخرة تبقى . كونوا من الله - عز وجل - وتعلموا كتاب الله فإنه ينابيع العلوم ، وربيع القلوب » .

١١- وصيته لتعليم أبنائنا :

ولسيدنا عمر بن الخطاب وصية في تعليم وتنشئة أبنائنا ، وهى من الوصايا الواجبة النفاذ ، وهى تدعونا لتعليم الأبناء ما يفيدهم في حياتهم ، من القوة والصحة واللياقة البدنية العالية التى تجعلهم أصحاب أقوياء ، وهذه الوصية تقول ^(١) :

« علموا أولادكم الرماية والسباحة ، ومروهم أن يشبوا على الخيل وثباً » .

(٣) راجع : عبد الله علوان ، تربية الأولاد في الإسلام ، القاهرة ، دار السلام ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

ج- وصايا الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه

عثمان بن عفان - رضى الله عنه - الخليفة الثالث بعد أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - والذى جهز جيشا كاملا للمسلمين هو جيش العسرة ، وأنفق أغلب ماله فى سبيل الله ، وهو ذو النورين ، والذى تزوج ابنتين من بنات هادى البشرية ، سيدنا محمد ﷺ وفى عهده انتشر الإسلام حتى وصل للهند وبقى المشرق والمغرب ، ولم لا ؟ وهو ثالث الخلفاء الراشدين المهديين ، وله من الوصايا العديد الذى يفيد الأمة قاطبة ، ونستعرض بعضاً من وصاياه فى هذا المقام :

١- وصيته عندما حاصره الناس :

وقبل أن نبدأ فى استعراض وصاياه ، نأخذ وصيته فى وقت الشدة ، التى تظهر خلالها معادن الرجال .

فعندما حاصر الناس عثمان - رضى الله عنه - يوم الدار ، أشرف على الناس فقال :

- يا عباد الله :

فدخل عليه على بن أبى طالب ومعه الحسن وعبدالله بن عمر - رضى الله عنهم - وفرقوا الناس ، وقال له على :

- السلام عليك يا أمير المؤمنين ، إن رسول الله ﷺ لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل والمدير ، وإنى والله لا أرى القوم إلا قاتليك ، فمرنا ، فلنقاتل .

فقال عثمان بن عفان - رضى الله عنه - :

« أنشد الله رجلاً رأى الله حقاً وأقر أن لى عليه حقاً أن يهريق في سبيل ملء حجمة من دم أو يهريق دمه في » (١) .

وفي ذلك نرى وصية هامة وهى أن حياة الحاكم لا يهراق في سبيلها نقطة دم من الناس ، حتى لا يحاسبه الله عليها يوم القيامة .

٢- أول وصية له :

عقب تولّى سيدنا عثمان - رضى الله عنه - الخلافة - بعد البيعة - كانت له خطبة عصاء كلها وصايا ، فكانت وصية للناس ، ووصية لأمرء الأمصار وعمال الخراج ، فقال ذو النورين في هذه الوصية الثمينة (٢) :

قال الطبرى : لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدهم كآبة ، فأتى منبر رسول الله ﷺ فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ وقال : « إنكم في دار قُلعة ، وفي بقية أعمار ، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ؛ فلقد أتيتم صبيحتكم أو مسيتكم ، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، واعتبروا بمن مضى ، ثم جدوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم ، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلاً ؟ ألم تلاحظهم ؟ ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها . واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلاً والذي هو خير ، فقال - عز وجل - :

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدًا * أَلَمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف : ٤٥ ، ٤٦] - وذكر غير الطبرى أنه أرتج عليه .

(١) أخرجه أبو أحمد عن شداد بن أوس رضى الله عنه ، وفيه قصة كبيرة ، راجع حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ص

(٢) راجع : عبد الوهاب النجار : الخلفاء الراشدون ، مرجع سابق ، ص : ٢٤٧ ، ٢٤٩ .

وكتب عثمان إلى الأمراء والأمصار موصياً :

لما ولى عثمان الخلافة كتب إلى أمراء الأمصار كتاباً عاماً صورته :

« أما بعد : فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة ، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة ، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة ، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء ، ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم ما لهم وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تعتنوا بالذمة فتعطوهم الذى لهم وتأخذوهم بالذى عليهم ، ثم العدو الذى تتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء » .

وكتب إلى أمراء الأجناد بالثغور : « أما بعد : فإنكم حماة الإسلام وذادتهم ، وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا بل كان عن ملأ منا ، ولا يبلغنى عن أحد منكم تغيير ولا تبديل ، فيغير الله بكم ويستبدل بكم غيركم . فانظروا كيف تكونون فإنى أنظر فيما ألزمنى الله النظر فيه والقيام عليه » .

وكتب إلى عمال الخراج : « أما بعد : فإن الله خلق الخلق بالحق فلا يقبل إلا الحق ، خذوا الحق وأعطوا الحق به ، والأمانة الأمانة ، قوموا عليها ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم . والوفاء الوفاء ، لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد ؛ فإن الله خصم لمن ظلمهم » .

وكتب إلى العامة من المسلمين بالأمصار : « أما بعد : فإننا بلغتم ما بلغتم بالافتداء والاتباع ، فلا تلفتكم الدنيا عن أمركم ، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداء بعد اجتماع ثلاث فيكم : تكامل النعم ، وبلوغ أولادكم من السبايا ، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن ، فإن رسول الله ﷺ قال : « الكفر فى العجمة ، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا » .

٣- وصيته عند موته - رضى الله عنه - :

ولما قتل سيدنا عثمان بن عفان - رضى الله عنه - شهيدا ، فتش الصحابة في

خزائنه ، فوجدوا فيها صندوقاً مقفلاً ، ففتحوه ، فوجدوا فيه ورقة مكتوباً فيها وصيته لما بعد موته .

وهذه الوصية القصيرة ، وما خلفها من أبيات شعر مُعبرة ، تتضمن الكثير ، والكثير جداً من الحكم البليغة والمواعظ والوصايا التي يجب اتباعها ؛ لأنها تصدر عن رجل أنفق وقاتل وهاجر في سبيل الله وعمل أعمالاً تعجز عصبية من المسلمين أن تقوم بها ، فلقد قام بأعمال خالدة حتى قبضه الله عز وجل .

كما تدل هذه الوصية على بصيرة نافذة وإيمان عميق ، نسأل المولى - عز وجل - أن يمنحنا بعضاً من هذا اليقين والإيمان الذي كان لدى ذى النورين - رضى الله عنه - . يقول في هذه الوصية ^(١) .

« هذه وصية عثمان . بسم الله الرحمن الرحيم : عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه ، إن الله لا يخلف الميعاد ، عليها يحيا وعليها يموت ، وعليها يبعث إن شاء الله ! » .

وأخرجه أيضاً نظام الملك وزاد : ووجدوا في ظهرها مكتوباً :

غنى النفس يغنى النفس حتى يحلها	وإن عَفَّها حتى يضر بها الفقرُ
وما عسرة فاصبر لها إن لقيتها	بكائنة إلا سيتبعها يُسرُ
ومن لم يقاس الدهر لم يعرف الأسى	وفى غير الأيام ما وعد الدهرُ

(١) أخرجه الفضائل الرازى عن العلاء بن الفضل عن أمه ، راجع : حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .

د / وصايا الخليفة الرابع

على بن أبى طالب

رضى الله عنه

على بن أبى طالب - رضى الله عنه - رابع الخلفاء الراشدين المهديين ، وهو ابن عم رسول الله ﷺ وهو أول من أسلم من الصبيان ، ولذلك لم يسجد لصنم فى حياته ، وهو زوج فاطمة الزهراء ابنة رسول الله ﷺ وهو أبو الحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين .

ولعلى بن أبى طالب مئات الوصايا الخالدة ، والنصح المفيد ، فقد كان - رضوان الله عليه - من الفصحاء البلغاء ، الذين شبوا على نور وهدى الإسلام ، ومن وصاياهم نعرض البعض اليسير منها :

١- وصية عامة :

ومن وصاياهم العامة لكافة المسلمين ، قال على بن أبى طالب - رضى الله عنه - :
« يا ابن آدم !! لا تجعل هم يومك الذى يأتى على يومك الذى أنت فيه ، فإن لم يكن من أجلك يأت فيه رزقك ، واعلم أنك لا تكتسب من المال فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك » (١) .

٢- وصية من أجل الخير :

ومن وصاياهم - رضوان الله عليه - الخالدة قوله :

(١) راجع : حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ح ٢ ، ص ٥٣٠ .

« ليس من الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك ، ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين : رجل أذنب ذنوباً فهو يتدارك ذلك بتوبة ، أو رجل يسارع في الخيرات ولا يقبل عملاً إلا في تقوى ، وكيف يقل ما يُتَقَبَّل ؟ » « إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسى الآخرة ، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ، ولكل واحدة منها بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل »^(١).

٣- وصية لأمير :

وأوصى على بن أبى طالب أحد الأمراء الذين عينهم على بلدة من بلاد الإسلام ، فقال له في وصية حكيمة^(٢) .

« أما بعد ! فلا تطولن حجابك على رعيتك ، فإن احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق ، وقلة علم من الأمور ، والاحتجاج يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه ، فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويشاب الحق بالباطل ؛ وإنما الوالى بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور ، وليست على القول سمات يعرف بها صروف الصدق من الكذب فيحصن من الإدخال في حقوق بلين الحجاب . فإننا أنت أحد رجلين : إما امرؤ سَخَتْ نفسك بالبذل في الحق فتقيم احتجاجك من حق تعطيه أو خلق كريم تسديه ، وإما مبتلى بالمنع ، فما أسرع كف الناس عنك وعن مساءلتك إذا يسوا عن ذلك ، مع أن أكثر حاجات الناس إليك لا مؤنة فيه عليك من مَشْكَاةٍ مَظْلَمَةٍ أو طلب إنصاف . فانتفع بما وصفت ، واقتصر على حظك ورشدك إن شاء الله ! » .

(١) راجع : أبو بكر الجزائري ، العلم والعلماء ، مرجع سابق ، ص ١٨٩ .

(٢) أخرجه الدينوري ، راجع : حياة الصحابة ، ج ٢ ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

٤- وصيته عند بداية عهده :

وقد خطب سيدنا على - رضى الله عنه - خطبة عقب توليه أمر المسلمين ، جمعت بين البلاغة والوعظ والوصايا ، وكانت خطبة غنية بالبيان ، وفيها قال (١) :

صعد على المنبر فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال : « إن الله عز وجل أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر ، فخذوا بالخير ودعوا الشر . الفرائض أدوها إلى الله - سبحانه وتعالى - يؤدكم إلى الجنة . إن الله حرم حُرماً غير مجهولة ، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها ، وشد بالإخلاص والتوحيد المسلمين . والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق . ولا يحل أذى المسلم إلا بما يجب . بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت ، فإن الناس أمامكم وإنما من خلفكم الساعة تحذوكم ؛ تحففوا تلحقوا . فإننا يتنظر الناس أخراهم . اتقوا الله عباد الله في عباده وبلاده ، إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم ، أطيعوا الله - عز وجل - ولا تعصوه - ، وإذا رأيتم الخير فخذوا به ، وإذا رأيتم الشر فدعوه ، واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض » .

٥- وصيته إلى بعض عماله :

وكان ذلك العصر عصر توسع الدولة الإسلامية ، فخاف من بعض أمرائه - لجمع الزكاة وقيادة الجيوش وغيرها من أمور المسلمين - الانحراف ، فأراد أن يذكرهم على ابن أبى طالب بتقوى الله ومراعاته في السر والعلن ، فقال لهم (٢) :

« رويداً ! فكأن قد بلغت المدى ، وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذى ينادى المغتر بالحسرة ، ويتمنى المضيع التوبة ، والظالم الرجعة » .

وأخرج ابن زنجويه عن رجل من ثقيف قال : استعملنى على بن أبى طالب - رضى الله عنه - على عكبرا ، فقال لى وأهل الأرض عندى :

(١) عبد الوهاب النجار ، مرجع سابق ، ص ٣٤٤ .

(٢) أخرجه الدينورى وابن عساكر ، راجع ، حياة الصحابة ، ج ٢ ، ص ١٠١ .

« إن أهل السواد قوم خدع فلا يَخْدَعُكَ ، فاستوف ما عليهم » .

ثم قال لى : رح إلى . فلما رجعت إليه قال لى :

« إنما قلت لك الذى قلت لأسمعهم ، لا تضربن رجلاً منهم بسوط فى طلب درهم ، ولا تقمه قائماً ، ولا تأخذن منهم شاة ولا بقرة ؛ إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو ، أتدرى ما العفو ؟ الطاقة » .

٦- خطبة بليغة وبيان رائع ووصية عامة :

وقد خطب على بن أبى طالب - رضى الله عنه - فى الناس خطبة بليغة ، عندما قام إليه رجل من أصحابه ، وقال له :

- لقد نهيتنا عن الحكومة ، ثم أمرتنا بها ، فلم ندر أى الأمرين أرشد . فصفق - رضى الله عنه - إحدى يديه على الأخرى ، ثم قام خطيباً فى الناس فقال (١) :

« هذا جزاء من ترك العقدة ، أما والله لو أنى حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الذى يجعل الله فيه خيراً ؛ فإن استقمتم هديتكم ، وإن اعوججتم قومتكم . وإن أبيتم تداركتكم ، لكانت الوثقى . ولكن بمن وإلى من ؟ أريد أن أداوى بكم وأنتم دائى ، كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أن ضلعها معها . اللهم قد ملّت أطباء هذا الداء الدوى ، وكلّت النزعة بأشطان الركى ، أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه ، وقرأوا القرآن فأحكموه . وهيجوا إلى أطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفاً صفاً : بعض هلك ، وبعض نجا . لا يُبَسِّرُنَّ بالأحياء ، ولا يعززون بالموتى ، مُره العيون من البكاء ، خص البطون من الصيام ، ذُبل الشفاه من الدعاء ، صفر الألوان من السهر ، على وجوههم غبرة الخاشعين .

أولئك إخوانى الذاهبون ! فحق لنا أن نظماً إليهم ، ونعزب الأيدى على فراقهم » .

(١) راجع : أبو الحسن الندوى (عن نهج البلاغة) (مختارات من أدب العرب) مرجع سابق ، ص ٤٠ ، ٤١ .

٧- الوصايا بأربعة أشياء :

وهذه وصية واجبة الاتباع ، فهي وصايا على بن أبي طالب الثمينة (١):

وقال على بن أبي طالب - رضى الله عنه - : « أوصيكم بأربع لو ضربتم إليها آباط الإبل لَكُنَّ لها أهلاً : لا يرجون أحدٌ منكم إلا ربَّه ؛ ولا يخافنَّ إلا ذنبه ؛ ولا يستحي أحدٌ إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم ، ولا إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه . وإنَّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قُطع الرأس ذهب الجسد ، وكذلك إذا ذهب الإيمان » .

٨- مجموعة من خطب ووصايا على بن أبي طالب :

وله - رضى الله عنه - مجموعة من الخطب والوصايا ، نذكر بعضها (٢):

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : أول خطبة خطبها على بن أبي طالب - رحمه الله - أنه قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه :

أما بعد فلا يُزْعِجَنَّ مُرْعٍ إلا على نفسه ؛ فإنَّ من أرعَى على غير نفسه سُيْلٌ عن الجنة ، والنارُ أَمَامَهُ . ساعٍ مجتهدٌ ينجو ، وطالبٌ يرجو ، ومقصرٌ في النار . ثلاثة ، واثنان : ملكٌ طارَ بجناحيه . ونبيٌّ أخذَ الله بيديه ، ولا سادس .

هَلَكَ من ادَّعى ، ورَدَى مَنْ اقْتَحَمَ ؛ فإنَّ اليمين والشَّمال مَضَلَّةٌ ، والوسطى الجادةُ ، منهجٌ عليه باقى الكتاب والسنة ، وآثارُ النبوة . إنَّ الله ذَاوَى هذه الأمة بدوامين : السَّيف والسُّوط ، فلا هُوادةَ عند الإمام فيهما ، استروا ببيوتكم وأصلحوا فيما بينكم ، والتَّوبة من ورائكم . مَنْ أبدى صفْحَتَهُ للحقِّ هلك . قد كانت لكم أمورٌ ملَّتْ على فيها مِيلةٌ لم تكونوا عندي فيها بمحمودين ولا مصيبين ، أما إننى لو أشاء لقلت عفا الله عما سلف . سَبَقَ الرجالَ وقامَ الثالث ، كالغُرَابِ همته بطنه ،

(١) راجع : عمرو بن بحر الجاحظ (البيان والتبيين) مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٧٧ .

(٢) الجاحظ ، المرجع السابق ، ص ٥٠-٥٦ .

يَا وَيْحَهُ !! لو قُصَّ جناحاه وقُطِعَ رأسه لكان خيراً له ، انظروا فإن أنكرتم فأنكروا ، وإن عَرَفْتُمْ فَأَزُوا . حق وباطل ، ولكل أهل ؛ ولئن أَمَرَ الباطل لقديما فعل ، ولئن قَلَّ الحق لربما ولعل ، ما أدبر شيء فأقبل ، ولئن رجعت عليكم أموركم إنكم لسعداء ، وإنني لأخشى أن تكونوا في فترة ، وما علينا إلا الاجتهاد .

قال أبو عبيدة : وروى فيها جعفر بن محمد :

« ألا إن أبرارَ عِترتي ، وأطالِبَ أرومتي ، أحلم الناس صغاراً ، وأعلم الناس كباراً ، ألا وإننا أهل بيت من علم الله عَلِمْنَا ، وبِحُكْمِ اللَّهِ حَكَمْنَا ، ومن قولٍ صادقٍ سَمِعْنَا . وإن تَتَّبِعُوا آثَارَنَا تهتدوا ببصائرنا ، وإن لم تفعلوا يُهْلِكْكُمْ الله بأيدينا ، معنا رايةُ الحق ، مَنْ تَبِعَهَا لحق ، ومن تأخر عنها غرق ، ألا وإن بنا ثُرَدٌ دَبْرَةٌ كُلُّ مؤمن ، وبنا تُخْلَعُ رِبْقَةُ الدَّلِّ من أعناقكم ، وبنا غُفِيم ، وبنا فَتَحَ اللَّهُ لَكُمْ ، وبنا يُخْتَمُ لَكُمْ » .

وخطبة لعلی بن أبین طالب أيضا رضى الله عنه

« أمّا بعدُ : فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بؤداء ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، وإن المضمار اليوم والسباق غداً ، ألا وإنكم في أيام أملٍ من ورائه أجل ، فمن أخلَصَ في أيام أمله قبل حضور أجله [فقد] نفعه عمله ، ولم يضره أمله ، ومن قَصَرَ في أيام أمله قبل حضور أجله ، فقد خسر عمله ، وضره أمله . ألا فاعملوا لله في الرغبة ، كما تعملون له في الرهبة ، ألا وإنني لم أر كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها ، ألا وإنه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى يجُرَّ به الضلال ، ألا وإنكم قد أمرتم بالظنن ، ودللتُم على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتِّبَاعُ الهوى وطُولُ الأمل .

ومن خطب على أيضا رضى الله عنه

قالوا : أغار سُفَيان بن عوف الأزدي ثم الغامدي على الأنبار ، زمان على بن

أبى طالب - رضى الله عنه - وعليها حسان - أو ابن حسان - البكرى فقتله ، وأزال تلك الخيل عن مسالحها ، خرج على بن أبى طالب - رضى الله عنه - حتى جلس على باب السدة ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال :

« أمّا بعد : فإنّ الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة . فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الدّل ، وشمله البلاء ، ولزّمه الصّغار ، وسبّم الحسّاف ، ومُنِع النّصف . ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلانا ، وقلت لكم : اغزّوهم قبل أن يغزّوكم ؛ فوالله ما غزّى قوم قط في عُقر دارهم إلا ذلّوا ، فتوا كلتم وتخاذلتم ، وثقل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظهرياً ، حتى سُنت عليكم الغارات . هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار ، وقتل حسان - أو ابن حسان - البكرى ، وأزال خيلكم عن مسالحها ، وقتل منكم رجالاً صالحين ، ولقد بلغني أنّ الرّجل منهم كان يدخل على المسلمة والأخرى المعاهدة ، فينزِع جِجلها وقُلْبها ودعائها ، ثم انصرفوا وإفرين ، ما كُلّم رَجُلٌ منهم كَلِمًا ، فلو أنّ امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ، ما كان عندي به ملوما ، بل كان به عندي جديراً . فيا عجبا من جدّ هؤلاء القوم في باطلهم ، وفشلهم عن حقّكم . فقبّحاً لكم وترحاً ، حين صيرتم هدفاً يُرمى ، وقبيحاً يُشْتَهَب ، يُغار عليكم ولا تُغيرون ، وتُغزّون ولا تُغزّون ، ويُعصى الله وتُرضون ؛ فإذا أمرتكم بالسّير إليهم في أيام الحرّ قلتم : حمارة القيظ ، أمهلنا ينسلخ عنا الحرّ ، وإذا أمرتكم بالسّير في البرد قلتم : أمهلنا ينسلخ عنا القُرّ . كل ذا فراراً من الحرّ والقُرّ ، فإذا كنتم من الحرّ والقُرّ تفرّون ، فأنتم والله من السيف أقرّ ، بأشباه الرّجال ولا رجال ، ويا أحلام الأطفال وعقول ربّات الحِجّال ، وددت أنّ الله قد أخرجني من بين ظهرائكم وقبّضني إلى رحمته من بينكم !! والله لو ددّت أنّي لم أركم ، ولم أعرفكم . معرفة والله جرّت ندماً . قد ورّيتم صدرى غيظاً ، وجرّعتكم الموت أنفاساً ، وأفسدتكم على رأيي بالعصيان والخذلان ، حتى قالت قريش : ابن أبى طالب شجاع ولكن لاعلم له بالحرب ، لله أبوه !! وهل منهم أحدٌ لها مِراساً أو أطول لها تجربةً منّي ؟ لقد مارسها وما بلغت العشرين ، فهأنذا قد نيت على السّتين ، ولكن لا رأى لمن لا يطاع . »

قال : فقام له رجلٌ من الأزد يقال له فلان بن عفيف ، ثم أخذ بيد ابن أخ له فقال : هأنذا يا أمير المؤمنين لا أملك إلا نفسي وابن أخى ، فأمرنا بأمرك ، فوالله لنمضينَّ له ولو حال دون أمرك شوك الهَرَّاسِ وبجر الغصَى . فقال لهما على : وأين تبليغان ما أريد ؛ رحمكما الله !! .

وقال على بن أبى طالب أيضا :

« أيها الناسُ المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤكم ، كلامكم يوهى الصَّمَّ الصَّلاب ، وفعلكم يُطمع فيكم عدوكم . تقولون فى المجالس كَيْتَ وكَيْتَ ، فإذا جاء القتال قلتم حَيْدَى حَيْدَى . ما عَزَّتْ دعوة مَنْ دعاكم ، ولا استراح قلبٌ من قاساكم ، أعاليلُ بأصاليل ، سألتمونى التأخيرَ دِفَاعَ ذى الدِّينِ المَطُولِ . هيهات لا يمنع الضَّيْمَ الدَّلِيلُ ، ولا يُدرك الحقُّ إلا بالجدِّ . أى دارٍ بعد داركم تمنعون ؟ أم مع أىِّ إمامٍ بعدى تقاتلون ؟ » المغرورُ والله مَنْ غررتموه ، وَمَنْ فاز بكم فاز بالسهمِ الأخبى ، أصبحت - والله - لا أصدق قولكم ، ولا أطمع فى نصركم ، فرق الله بينى وبينكم ، وأعفى بكم مَنْ هو خيرٌ لى منكم ، لَوَدِدْتُ أَنَّ لى بكلِّ عشرة منكم رجلاً من بنى فِرَاسِ بنِ غنمٍ ، صَرَفَ الدينارَ بالدَّرْهِمِ »

* * *

خامسا : وصايا الصالحين والصحابة رضى الله عنهم والتابعين رحمهم الله

هذه جولة عزيزة في وصايا الصالحين والصحابة - رضوان الله عليهم - والتابعين - رحمهم الله - وهى من خير الكلام بعد القرآن الكريم والحديث الشريف وسنة الخلفاء الراشدين ، وعليها أن تقتدى بهم وتنفذ وصاياهم ؛ لأنهم ببساطة شديدة ، لم يقولوها عبثاً ، وإنما تعتبر خلاصة التجارب الطيبة ، وتعتبر من الكلام الطيب الذى يغنى المسلم أينما كان ، عسى الله أن يحشرنا معهم فى جنات النعيم ، ولم لا ؟ فمن أحب جماعة حشر معهم ، والصالحون والصحابة - رضوان الله عليهم - فى عليين - إن شاء الله - وندعو المولى - عز وجل - بحبنا لهم أن يحشرنا معهم فى جنات النعيم .

وحياة الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - كانت كلها جهاداً فى سبيل إعلاء كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، ولذلك انتشرت راية الإسلام عالية خفاقة فى مشارق الأرض ومغاربها ، وهنا نتعرض لقبس يسير من وصاياهم ، بدون ترتيب زمنى أو اجتماعى أو فئوى ، عسى الله أن يهدينا بهديهم آمين يا رب العالمين :

١- وصية ابن مسعود لابنه :

أوصى عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - ابنه بثلاث كلمات جامعة شاملة تغنى عن الدنيا وما فيها ، فإذا قال له :

«أى بنى !! أوصيك بتقوى الله . وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك» (١) .

(١) رواه الطبرانى . راجع حية الصحبة . مرجع - بقر - ج ٢ ص ٥٢٨ .

٢- وصية عبدالله بن عمر - رضى الله عنه - عند الوفاة :

وعبدالله بن عمر أحد الصحابة الأخيار ، ويعتبر حبر الأمة الإسلامية ، وله من المآثر الكثير والكثير ، وله من الوصايا الكثير ، ولكن هذه الوصية عندما حضرته الوفاة ، قال :

« انظروا فلانا ، فإننى قلت له فى ابنتى قولاً كشبه العِدَّةِ ، فما أحب أن ألقى الله بثلاث النفاق ، فأشهدكم أنى قد زوجته » ^(١).

٣- وصية أبى أمامة - رضى الله عنه - :

ولأبى أمامة - رضى الله عنه - وصية جاءت فى إحدى مواعظه ، قال :

« عليكم بالصبر فيما أحببتم أو كرهتم !! فنعم الخصلة الصبر!! ولقد أعجبتكم الدنيا ومدت لكم أذيالها ، ولبست ثياب زيتها ، إن أصحاب محمد ﷺ كانوا يجلسون فى فناء بيوتهم يقولون : نجلس فنسلم ويسلم علينا » ^(٢).

٤- وصية الهيثم بن صالح لولده :

وأوصى الهيثم بن صالح - رحمه الله - أحد أبنائه ، فقال له :

« يا بنى : إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب ، فقال : يا أبت ، فإن أكثرت وأكثرت ، يعنى كلاماً وصواباً ، فقال : يا بنى ما رأيت موعوظاً أحق بأن يكون واعظاً منك ، ثم أنشد قول أبى الفتح البستي ^(٣) :

تكلم ، وسدد ما استطعت فإنما كلامك حى والسكوتُ جمادُ
فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السداد سداد

٥- وصية قيس بن عاصم عند موته :

وأوصى قيس بن عاصم بنيه عند موته وصية حكيمة ، فقال لهم :

(١) أخرجه ابن عساکر ، المرجع السابق ، ص ٥٢٣ .

(٢) أخرجه ابن عساکر ، راجع المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ .

(٣) أبو الحسن على المارودى (أدب الدنيا والدين) تحقيق مصطفى السقا ، الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة ، ص ٢٦٩ .

« اتقوا الله وسودوا أكبركم ، فإن القوم إذا سودوا أكبرهم خلفوا أباهم ، وإذا سودوا أصغرهم أزرى بهم ذلك في أكفانهم ، وعليكم بالمال ، واصطناعه ، فإنه منبهة للكريم ، ويُسْتغنى به عن اللثيم ، وإياكم ومسألة الناس ، فإنها من آخر كسب الرجل ، وإذا مت فلا تنوحوا ، فإنه لم ينح على رسول الله ﷺ وإذا مت فادفنونى بأرض لا يشعر بدفنى بكر بن وائل ، فإنى كنت أغافلهم في الجاهلية »^(١).

٦- وصية لفلذة الكبد :

وهى وصية بليغة حكيمة ، فمن المعروف علميًا واجتماعيًا أن الإنسان لا يريد أن يكون هناك من هو خير منه إلا ابنه ، ولذلك فإن الوصية لابن تكون نابعة من القلب والجوارح والعقل أيضا ، وتكون الوصايا للأبناء وصايا تجمع بين خبرة السنين وبلاغة الحكمة .

وفي هذا المقام نرى وصية عمير بن حبيب بن حماسة - رضى الله عنه - لولده ، فيقول له :

« يا بنى : إياك ومجالسة السفهاء ؛ فإن مجالسهم داء ، ومن يحلم عن السفه يسر ، ومن يحبه يندم ، ومن لا يرضى بالقليل مما يأتى به السفه يرضى بالكثير ، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن نفسه على الصبر على الأذى ويثق بالشواب من الله تعالى ، فإنه من وثق بالشواب من الله - عز وجل - لم يضره مس الأذى »^(٢).

٧- وصية أبى هريرة في احترام وتقديس الأب :

وهذه وصية ثمينة تُبين منهج الحياة ومقصدها ، قال أبو غسان الضبى :

« خرجت أمشى مع أبى بظهر الحرة ، فلقينى أبو هريرة - رضى الله عنه - فقال لى : من هذا ؟ قلت : أبى ، قال : لا تمس بين يدي أبيك ، ولكن امش خلفه أو إلى

(١) رواء البخارى في الأدب المفرد عن ابنة حكيم ، وجاء في حياة الصحابة ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ .

(٢) أخرجه الطبرانى ، راجع : حياة الصحابة ، ج ٢ ، ص ٥٢٦ .

جانبه ، ولا تدع أحداً يحول بينك وبينه ، ولا تمش فوق إجار أبنيك تخفه ، ولا تأكل عرقاً
قد نظر أبوك إليه لعله اشتهاه»^(١).

٨- وصية ثمينة لسلمان الفارسي - رضى الله عنه .:

الصحابي الجليل سلمان الفارسي - رضى الله عنه - كان من الصحابة الزاهدين
الذين لا يتكلمون إلا في خير ؛ ولذلك فإن وصيته هذه تعتبر حكمة بليغة يجب
تنفيذها على الفور :

« جاء رجل إلى سلمان الفارسي ، فقال : أوصني ، قال : لا تتكلم ، قال : لا
يستطيع من عاش في الناس أن لا يتكلم ، قال : فإن تكلمت فتكلم بحق أو اسكت ،
قال الرجل : زدني ، قال : لا تغضب ، قال الرجل : إنه يغشاني ما لا أملكه ، قال
سلمان - رضى الله عنه - : فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك ، قال الرجل : زدني ،
قال : لا تلبس الناس ، فقال الرجل : لا يستطيع من عاش في الناس أن لا يلبسهم ،
قال سلمان - رضى الله عنه - : فإن لبستهم فاصدق الحديث وأد الأمانة»^(٢).

٩- وصية ابن عباس لرجل يتقوى الله :

ابن عباس - رضى الله عنهما - ابن عم رسول الله ﷺ وهو من الصحابة المجدين
المجتهدين لخدمة الإسلام والمسلمين ، وروى عن رسول الله ﷺ الكثير من الأحاديث
التي توضح لنا معالم الطريق .

« ولقد جاء رجل إلى ابن عباس - رضى الله عنهما - فقال : أوصني ، فقال ابن عباس
- رضى الله عنهما - : أوصيك بتقوى الله ، وإياك وذكر أصحاب رسول الله ﷺ فإنك لا
تدرى ما سبق لهم »^(٣).

١٠- الوصية بالبكاء على رخاء الحياة :

وروى هذه الوصية أبو عبيدة بن الجراح - رضى الله عنه - وهو من العشرة المبشرين
بالجنة ، ومن الصحابة المقربين لرسول الله ﷺ :

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ، راجع ، المرجع السابق ، ص ٣٨٣ ، ج ٢ .

(٢) راجع : أبو بكر الجزائري (العلم والعلماء) مرجع سابق ، ص ٢٤٣ .

(٣) أخرجه الطبراني عن سعيد بن جبير ، راجع حياة الصحابة ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

« دخل رجل على أبي عبيدة بن الجراح - رضى الله عنه - فوجده يبكى ، فقال له : ما يبكيك يا أبا عبيدة ؟ ، فقال - رضى الله عنه - : نبكى أن رسول الله ﷺ ذكر يوماً ما يفتح الله على المسلمين ، ويُقضى عليهم ، حتى ذكر الشام ، فقال : إن ينسأ في أجلك يا أبا عبيدة ، فحسبك من الخدم ثلاثة : خادم يخدمك ، وخادم يسافر معك ، وخادم يخدم أهلَكَ ويرد عليهم ، وحسبك من الدواب ثلاثة : دابة لرحلك ، ودابة لنقلك ، ودابة لغلأمك ، ثم ، هأنذا أنظر إلى بيتي قد امتلأ رقيقاً ، وأنظر إلى مربطى قد امتلأ دوابٍ وخيلاً ، فكيف ألقى رسول الله ﷺ بعد هذا ؟ ! وقد أوصانا رسول الله ﷺ : « إن أحبكم إلى وأقربكم منى من لقينى على مثل الحال الذى فارقتى عليه » رواه أحمد^(١).

١١- وصية خالدة لعمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - :

والخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - من الخلفاء الذين اشتهروا بالورع والتقوى ، ولذلك فإن وصاياهم هامة جداً ؛ لأننا نلتمس في وصاياهم نور الإيمان الحقيقى الذى يوصلنا إلى الجنة هدف المؤمن إن شاء الله .
ومن وصاياهم - رحمه الله ورضى الله عنه - نقتبس هاتين الوصيتين لرجلين من المسلمين :

« أوصيك بتقوى الله الذى لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يُثيب إلا عليها ، فإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل » .

« أوصيك بتقوى الله والانشغال (أى الاجتهاد) به ، لما استطعت من مالك وما رزقك الله إلى دار قرارك ، فكأنك والله ذقت الموت ، وعانيت ما بعده بتصريف الليل والنهار ، فإنهما سريعاً فى طى الأجل ونقص العمر ، ولم يفتها شئ إلا أفنياء ، ولا زمن مرا به إلا أبلية ، مُستعدان لما بقى بمثل الذى أصاب من قد مضى ، فنستغفر الله لسيء أعمالنا ، ونعوذ به من مقتته إيانا عما نعظ به مما نقصر عنه »^(٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد عن أبي حنيفة بن أكيس مولى عبد الله بن عامر ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .

(٢) أبو بكر الجزائري (العلم والعلماء) مرجع سابق ، ص ٢٨٢ .

وله وصية أخرى لقائد جيشه منصور بن غالب ، وهي موعظة ووصية تدل على الاهتمام بأصول الإسلام ، قال فيها ^(١):

« هذا ما عهد به عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى منصور بن غالب حين بعثه على قتال أهل الحرب وحربه من استعرض من أهل الصلح ، أمره في ذلك بتقوى الله على كل حال نزل به من أمر الله ، فإن تقوى الله أفضل العدة ، وأبلغ المكيدة ، وأقوى القوة . وأمره أن لا يكون من شيء من عدوه أشد احتراساً منه لنفسه ومن معه من معاصي الله ، فإن الذنوب أخوف عندى على الناس من مكيدة عدوهم . وإننا نعدى عدونا وننصر عليهم بمعصيتهم . ولولا ذلك لم يكن لنا قوة بهم ؛ لأن عدونا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم . فلو استوينا نحن وهم في المعصية كانوا أفضل منا في القوة والعدد ، فإن لا ننصر عليهم بحقنا لا نغلبهم بقوتنا . ولا تكونوا لعداؤنا أحد من الناس أحذر منكم لذنوبكم . ولا تكونوا بالقدرة لكم أشد تعاهداً منكم لذنوبكم . واعلموا أن معكم من الله حافظة عليكم يعلمون ما تفعلون في مسيركم ومنزلكم ، فاستحيوا منهم ، وأحسنوا صحابتهم ، ولا تؤذوهم بمعاصي الله ، وأنتم زعمتم في سبيل الله . ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلطوا علينا وإن أذنبنا ، فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم بذنوبهم ، فاسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النضر على عدوكم ، وأسأل الله ذلك لنا ولكم » .

وأمره أن يرفق بمن معه في سفرهم ، ولا يجشّمهم مسيراً يتعبهم فيه ، ولا يقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يلقوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم ، فإنما يسرون إلى عدوهم مقيم جامّ الأهبة والكراع ، فإن لا يرفقوا بأنفسهم وكراعهم في مسيرهم يكن لعدوهم فضل في القوة عليهم بإقامتهم في جامم الأنفس والكراع والله المستعان .

وأمره أن يقيم ومن معه في كل جمعة يوماً وليلة يكون لهم راحة يجثّون فيها أنفسهم وكراعهم ويرمّون أسلحتهم وأمتعتهم .

وأمره أن ينحى منزله عن قرى الصلح فلا يدخلها أحد من صحابه لسوقهم

(١) أبو الحسن الندوى ، مرجع سابق ص ٥٠ ، ٥١ ، ج ٢ ، ورواه محمد بن عبد الله بن الحكم في سيرة عمر بن عبد العزيز .

وجماعتهم إلا من يثق بدينه وأمانته على نفسه ، ولا يصيبوا منها ظملاً ، ولا يتزودوا منها إثماً ، ولا يؤذوا أحداً من أهلها بشيء إلا بحق ، فإن لهم حرمةً وذمةً ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها ، فما صبروا لكم ففوا لهم . ولا تستنصروا على أهل أرض الحرب بظلم أهل أرض الصلح ، فلعمري لقد أعطيتكم مما يحل منهم ما يغنيكم عنهم ، فلم أترك لكم خلافاً في العدة ، ولا رقة في القوة ، فتظاهرت واكتفت لكم العُدَّة ، وانتخبتم لكم الجند ، وأغنيتكم بأرض الشرك عن أرض الصلح ، وبسطت لك أفضل ما بسطت لغازٍ . فلم أجعل لك علة في التقوية ، وبالله الثقة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأمره أن تكون عيونه من العرب ومن يطمئن إلى نصيحته وصدقه من أهل الأرض ، فإن الكذب لا ينفع خبره وإن صدق في بعضه . وإن الغاش عين عليك وليس بعين لك - والسلام عليك .

١٢ - وصية صحابي جليل إلى أمير المؤمنين :

وهذه الوصية تُبين جوهر الإسلام ومساواته بين الرئيس والمرءوس ، فلقد أوصى سعيد بن عامر الجهمي - رضى الله عنه - (وهو من صحابة رسول الله - رضوان الله عليهم أجمعين -) عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وصية هامة يجب أن نضعها أمام أعيننا ودراساتنا دائماً ؛ لأن نور الإسلام يشع في القلوب من خلالها ، فلقد بدأ ويادر الصحابي الجليل بقوله لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : إني أريد أن أوصيك يا عمر !!! قال له عمر - رضى الله عنه - : أجل فأوصني . فلم يتردد الصحابي ، فأوصاه ، فقال له ^(١) :

« أوصيك أن تخشى الله في الناس ، ولا تخشى الناس في الله ، ولا يختلف قولك وفعلك ، فإن خير القول ما صدقه الفعل ، لا تقض في أمر واحد بقضاءين فيختلف عليك أمرك وتزيغ عن الحق ، وخذ بالأمر ذي الحجة تأخذ بالفلج ، ويعينك الله ويصلح رعبتك على يدك ، وأقم وجهك وقضاءك لمن ولاك الله أمره من بعيد المسلمين وقريبهم ، وأحب لهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك ، واکره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك ، وخض الغمرات إلى الحق ، ولا تخف في الله لومة لائم » .

(١) راجع (حياة الصحابة) ج ٢ ، ص ١٠٢ ، وأخرجه ابن سعد وابن عساکر .

فقال عمر : من يستطيع ذلك ؟ فقال سعيد : مثلك ، من ولاه الله أمر أمة محمد ﷺ ثم لم يحل بينه وبين الله أحد .

١٣- ووصية أخرى من صحابييين جليلين إلى أمير المؤمنين :

ونشر هذه الوصية لتبين أن الوصية السابقة لم تكن مجرد وصية عابرة ، بل من جوهر الإسلام ، فهذان صحابييان هما أبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل - رضى الله عنهما - يوصيان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فقالا له (١) :

« من أبى عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب : سلام عليك ، أما بعد ! فإننا عهدناك وأمر نفسك لك مهم ، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها ، يجلس بين يديك الشريف والوضيع ، والعدو والصديق ، ولكل حصته من العدل ، فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر ! فإننا نحذرك يوماً تعنو فيه الوجوه ، وتحف فيه القلوب ، وتنقطع فيه الحجج لحجة ملك قهرهم بجبروته ، فالخلق داخرون له ، يرجون رحمته ، ويخافون عقابه . وإننا كنا نحدث أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية ، أعداء السرية ؛ وإننا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا إليك سوى المنزل الذى نزل من قلوبنا ، فإننا كتبنا به نصيحة لك ، والسلام عليك ! » .

فكتب إليهما عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - :

« من عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة ، ومعاذ : سلام عليكما ! أما بعد : أتانى كتابكما ، تذكران أنكما عهدتماني وأمر نفسي لى مهم ، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها ، يجلس بين يدي الشريف والوضيع ، والعدو والصديق ، ولكل حصته من العدل ؛ كتبتم : فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر ! وإنه لا حول ولا قوة لعمر عند ذلك إلا بالله عز وجل . وكتبتم تحذرانى ما حذرت منه الأمم قبلنا ، وقديماً كان اختلاف الليل والنهار بأجال الناس يقربان كل بعيد ، ويبلبان كل جديد ، ويأتیان بكل موعود حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة والنار . كتبتم تحذرانى : أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية أعداء السرية ، ولستم بأولئك ، وليس هذا بزمان ذاك ، وذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرغبة ، تكون رغبة

(١) حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ١٠٣-١٠٥ ، وأخرجها أبو نعيم

الناس بعضهم إلى بعض لصالح دنياهم . كتبنا تعوذاني بالله أن أنزل كتابكما سوى المنزل الذي نزل من قلوبكما ؛ وأنكما كتبنا به نصيحة لي وقد صدقتما ، فلا تدعا الكتاب إلى فإنه لا غنى بي عنكما ، والسلام عليكما ! » .

١٤- وصية أبى عبيدة بن الجراح إلى المسلمين :

وهذه وصية تؤكد عظمة الإيثار في النفوس والقلوب للصحابه - رضوان الله عليهم أجمعين - فعندما طعن أبو عبيدة بن الجراح - رضى الله عنه - أراد أن يكون آخر كلامه وصية للمسلمين ، ولم لا ؟ ألم يعلم الصحابة أن الدين النصيحة ؟ ! وها هو يوصى المسلمين قبل الموت ، بعد أن طعن في الشام ، فيقول ^(١) :

« إني موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير : أقيموا الصلاة ، وصوموا شهر رمضان ، وتصدقوا ، وحجوا ، واعتصموا ، وتواصوا . وانصحووا لأمرائكم ولا تغشوهم ؛ ولا تلهيكم الدنيا ؛ فإن امرأ لو عُمِّرَ ألفَ حَوْلٍ ما كان له بد من أن يصير إلى مصرعى هذا الذى ترون ، إن الله تعالى كتب الموت على بنى آدم فهم ميتون ، فَأَكْبِسُهُمْ أطوعهم لربه ، وأعملهم ليوم معاده . والسلام عليكم ورحمة الله ! يا معاذ بن جبل ! صَلِّ بالناس » .

١٥- وصية معاذ بن جبل للمسلمين :

وبعدما طعن أبو عبيدة بن الجراح - رضى الله عنه - ومات ، قام معاذ بن جبل - رضى الله عنه - فأوصى الناس حتى لا يفتتنوا ، فقال لهم ^(٢) :

« أيها الناس : توبوا إلى الله من ذنوبكم ، فأيا عبد يلقى الله تعالى تائباً من ذنبه إلا كان على الله حقاً أن يغفر له . من كان عليه دين فليقضه ، فإن العبد مرتين بدينه . ومن أصبح منكم مهاجراً أخاه فليلقه فليصالحه ، ولا ينبغي لمسلم أن يهجر أخاه أكثر من ثلاثة أيام . أيها المسلمون : قد فجعتكم برجل ما أزعج أنى رأيت عبداً أبر صدرأ ولا أبعد من الغائلة ولا أشد حباً للعامة ولا أنصح منه . فترحموا عليه ، واحضروا الصلاة عليه » .

(١) أخرجه سعيد بن المسيب ، راجع حياة الصحابة ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .

(٢) راجع : المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

١٦- وصية عن أخلاق المؤمن للحسن البصرى :

والحسن البصرى - رحمه الله - هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى ، وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصارى ، وأمه خيرة مولاة أم المؤمنين أم سلمة زوج النبى ﷺ وهو ممن اشتهروا بالحكمة والفصاحة والعلم النافع .

وله وصية فى أخلاق المؤمن ، يقول فيها ^(١):

« هيهات هيهات !! أهلك الناس الأمانى ، قول بلا عمل ، ومعرفة بغير صبر ، وإيمان بلا يقين ، ما لى أرى رجالاً ولا أرى عقولاً ، وأسمع حسيساً ولا أرى أنيساً ، دخل القوم والله ثم خرجوا ، وعرفوا ثم أنكروا ، وحرّموا ثم استحلّوا ؛ إنما دين أحدكم لعقة على لسانه ، إذا سئل أمؤمن أنت بيوم الحساب ؟ قال : نعم ! كذب ومالك يوم الدين ، إن من أخلاق المؤمن قوة فى دين ، وحرماً فى لين ، وإيماناً فى يقين ، وعلماً فى حلم ، وحلماً بعلم ، وكيساً فى رفق ، وتجملاً فى فاقة ، وقصدأ فى غنى ، وشفقة فى نفقة ، ورحمة لمجهود ، وعطاء فى الحقوق ، وإنصافاً فى استقامة ، لا يحيف على من ييغض ، ولا يائثم فى مساعدة من يحب ، ولا يهمز ، ولا يغمز ، ولا يلمز ، ولا يلغو ، ولا يلهو ، ولا يلعب ، ولا يمشى بالنميمة ، ولا يتبع ما ليس له ، ولا يجحد الحق الذى عليه ، ولا يتجاوز فى العذر ، ولا يشمت بالفجيعة إن حلّت بغيره ، ولا يسر بالمعصية إذا نزلت بسواه .

المؤمن فى الصلاة خاشع ، وإلى الركوع مسارع ، قوله شفاء ، وصبره تقى ، وسكوته فكرة ، ونظرة عبرة ، يخالط العلماء ليعلم ، ويسكت بينهم ليسلم ، ويتكلم ليغنم ، إن أحسن استبشر ، وإن أساء استغفر ، وإن عتب استعتب ، وإن سفه عليه حلم ، وإن ظلم صبر ، وإن جبر عليه عدل ، لا يتعوذ بغير الله ، ولا يستعين إلا بالله ، وقور فى الملأ ، شكور فى الخلا ، قانع بالرزق ، حامد على الرخاء ، صابر على البلاء ، إن جلس مع الغافلين كتب من الذاكرين ، وإن جلس مع الذاكرين كتب من المستغفرين .

(١) أبو الحسن الندوى ، مختارات ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٢ ، ٥٣ ، ورواها عبد الرحمن بن الجوزى فى سيرة البصرى .

هكذا كان أصحاب النبي ﷺ الأول فالأول ، حتى لحقوا بالله - عز وجل - وهكذا كان المسلمون من سلفكم الصالح ، وإنما غير بكم لما غيرتم . ثم تلا :
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۚ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾
 [١١ : الرعد] .

١٧- وصية امرأة مسلمة لابنها ، وهو على وشك السفر :

وروى الأصمعي عن أبان بن تغلب وصية لامرأة مسلمة توصي ابنها وهو على وشك السفر والترحال ، فأكدت له المفاهيم الإسلامية الرائعة ، وقالت له (١) :

« اجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك ، وقليل إجدائها عليك أنفع من كثير عقلك : إياك والنائم فإنها تزرع الضغائن ، ولا تجعل نفسك غرضاً للرماء ، فإن الهدف إذا رمي لم يلبث أن يثلم ، ومثل لنفسك مثلاً فما استحسنته من غيرك فاعمل به ، وما كرهته منه فدعه واجتنبه ، ومن كانت مودته بشره كان كالريح في تصرفها .

ثم نظرت فقالت : كأنك يا عراقى أعجبت بكلام أهل البدو ؟ ثم قالت لابنها : إذا هرزت فمز كريماً ؛ فإن الكريم يهتز لهزتك . وإياك واللثيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها ، وإياك والغدر فإنه أقبح ما تُعوئل به ، وعليك بالوفاء فقيه النماء . وكن بمالك جواداً ، وبدينك شحيحاً ، ومن أعطى السخاء والحلم فقد استجاد الحلة : ريطتها وسربالها ! انهض على اسم الله » .

١٨- وصية عامة لعبد الملك بن مروان :

وكتب الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان - رحمه الله - وصية بخط يده ، وأمر الناس بحفظها وتدبر معانيها ، وهذه هي الوصية (٢) :

وقال عمرو بن عبيد - رحمه الله - : كتب عبد الملك بن مروان وصية زياد بيده وأمر الناس بحفظها وتدبر معانيها ، وهي : « إن الله عز وجل جعل لعباده عقولاً عاقبهم بها على معصيته ، وأثابهم بها على طاعته ، فالناس بين محسن بنعمة الله عليه ، ومسيء

(١) رواها الأصمعي عن أبان بن تغلب ، راجع الجاحظ في البيان والتبيين ج ٤ ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) الجاحظ ، مرجع سابق ، البيان والتبيين ، ج ١ ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

بخذلان الله إياه . والله النعمة على المحسن ، والحجّة على المسيء . فما أوّلَى من تمت عليه النعمة في نفسه ، ورأى العبرة في غيره ، بأن يضع الدُّنيا بحيث وضعها الله فيعطى ما عليه منها ، ولا يتكثر مما ليس له فيها ؛ فإنَّ الدُّنيا دارُ فناء ، ولا سبيل إلى بقائها ، ولا بد من لقاء الله - عز وجل - فأحذركم الله الذي حذركم نفسه ، وأوصيكم بتعجيل ما أخرته العجزة ، قبل أن تصيروا إلى الدار التي صاروا إليها ، فلا تقدروا فيها على توبة ، وليست لكم منها أوبة . وأنا أستخلف الله عليكم ، وأستخلفه منكم .

١٩- وصية لزياد بن أبيه :

وزياد بن أبيه - رحمه الله - من نوابغ العرب ، ومن أخطب الخطباء ، وأشهر السياسيين في العصر الأموي الإسلامي ، وفي هذه الوصية الشاملة الجامعة يوصي الناس بالكف عن المعاصي ، فقال لهم ^(١) :

« أما بعد ! فإن الجهالة الجاهلاء ، والضلالة العمياء ، والغنى المؤثّر بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم . ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، في الزمن السرمدي الذي لا يزول . أنكونون كمن طرقت عينه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ؟ ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه : من ترككم الضعيف يقهر ، والضعيفة المسلوبة بالنهار لا تنصر ، والعدد غير قليل ، والجمع غير مفترق . ألم يكن منكم نهاية يمتنعون الغواة عن دليج الليل وغارة النهار ؟ قربتم القرابة ، وباعدتم الدين . تعتذرون بغير العذر ، وتغضون على النكر ، كل امرئ منكم يرد عن سفيحه ، صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معاداً . ما أنتم بالحلما ، ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرّم الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم كنوساً في مكائس الريب . حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً وإحراقاً . إنني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله : لين في غير ضعف ، وشدة في غير عنف . وإنني لأقسم بالله لأخذن الولي

(١) رواه الجاحظ في البيان والنبين ، راجع : أبو الحسن الندوي ، مرجع سابق ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

بالمولى ، والمقيم بالطاعن ، والمطيع بالعاصي ، والصحيح بالسقيم ، حتى يلقى الرجل أخاه فيقول : انجُ سعدُ فقد هلك سعيد ! أو تستقيم قناتكم . إن كذبة الأمير ببقاء مشهورة ، فإذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي . فإذا سمعتموها منى فاعتمزوها في . واعلموا أن عندى أمثالها ، من نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب من ماله ، فإياي ودلج الليل ، فإننى لا أوتى بمديلج إلا سفكت دمه ، وقد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتى الخبر الكوفة ويرجع إليكم . وإياي ودعوى الجاهلية ، فإننى لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسانه . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة . فمن أغرق قوماً أغرقناه . ومن أحرق قوماً أحرقناه ، ومن نقب بيتاً نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً ، فكفوا عنى أيديكم وألستكم أكف عنكم يدى ولسانى ، ولا تظهر من أحدكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه ، وقد كان بينى وبين قوم إحن . فجعلت ذلك دبر أذنى وتحت قدمى . إننى لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضى لم أكشف له قناعاً . ولم أهتك له سترأ ، حتى يبدى لى صفحته ، فإذا فعل ذلك لم أناظره . فاستأنفوا أموركم . وأعينوا على أنفسكم ، فرب مبيتس بقدمونا سيسر ، ومسرور بقدمونا سيبتس .

أيها الناس : إنا قد أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونذود عنكم بفىء الله الذى خوّلنا . فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا وفيثنا بمناصحتكم لنا . وإيم الله ! إن لى فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل منكم أن يكون من صرعاى .

٢٠- وصية عبد الله بن الحسن لابنه :

وأوصى عبد الله بن الحسن ابنه محمداً وصية خالدة بليغة ، فقال له (١) :

قال عبد الله بن الحسن لابنه محمد وقد أراد الاستخفاء : « أى بنى : إننى مؤدّ إليك حق الله فى حسن تأديك ، فأدّ إلى حق الله فى حسن الاستماع . أى بنى : كف الأذى ، وارفض البداء ، واستغن عن الكلام بطول الفكر فى المواطن التى تدعوك نفسك فيها إلى القول ، فإن للقول ساعات يضّر فيها خطؤه ، ولا ينفع

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

صوابه. احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشياً ، فإنه يوشك أن يورطك بمشورتها ، فيسبق إليك مكر العاقل ، وتوريط الجاهل ٢ .

٢١- وصية في خطبة فتح الأندلس :

ومن الوصايا النافعة والخطب البليغة والتي نفذها المسلمون بحذافيرها ، تلك الوصية في فتح الأندلس ، وتلك الخطبة المشهورة والوصية التي أوصاها طارق بن زياد عند فتح الأندلس ، وكان طارق بن زياد مولى لموسى بن نصير ، وقال في خطبته ووصيته المشهورة^(١) :

(أيها الناس : أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصديق والصبر . واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللثام . وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة ، وأنتم لا وِزْرَ لكم إلا سيوفكم . ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم . وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ذهب ربحكم ، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذه الطاغية . فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة . وإن انتهز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت ، وإنى لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ولا حملتكم دوني على خطة أرخص متاع فيها النفوس ، أبداً بنفسى . واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالألذ طويلاً ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى ، فما حظكم فيه بأوفر من حظى . وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً ، ورضيكم للملك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً ؛ ثقة منه بارتياحكم للطعان وساحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ؛ ليكون حظكم منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم ، والله تعالى ولي أنجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين . واعلموا أنى أول مجيب إلى ما

(١) رواه المقرئ في نفع الطيب ، راجع : أبو الحسن الندوى ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

دعوتكم إليه ، وأنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاعة القوم لذريق
فَقَاتِلُهُ إن شاء الله تعالى . فاحملوا معى ، فإن هلك بعدة فقد كفيت أمره ولم
يعوزكم بطل عاقل تُسندون أموركم إليه ، وإن هلكت قبل وصولى إليه فاخلفونى فى
عزيمتى هذه . واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا الهَمَّ من فتح هذه الجزيرة بقتله) .

٢٢- وصية قيس بن عاصم لمعلم ولده :

وأوصى قيس بن عاصم المنقرى - رحمه الله - معلم ولده ومؤدبه ، فساق له
وصية غالية وثمينة ترشدنا لطريق التربية ؛ لأنه قالها لولده أمام الخليفة الأموى
معاوية بن أبى سفيان (١) :

« لَا تَغْشِ السُّلْطَانَ حَتَّى يَمْلِكَ ، وَلَا تَقْطَعْهُ حَتَّى يَنْسَاكَ ، وَلَا تَجْلِسَ لَهُ عَلَى فِرَاشٍ
وَلَا وِسَادٍ ، وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَجْلِسَ رَجُلٍ أَوْ رَجُلَيْنِ ؛ فَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَأْتِيَ مَنْ هُوَ
أَوْلَى بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ مِنْكَ فَتَقَامَ لَهُ ، فَيَكُونَ قِيَامُكَ زِيَادَةً لَهُ ، وَنُقْصَانًا عَلَيْكَ »
حَسْبِىْ هَذَا الْمَجْلِسُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَعَلَّهُ أَنْ يَأْتِيَ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ
مَنْىْ ؛ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : « لَقَدْ أُوتِيتُ تَمِيمَ الْحِكْمَةِ ، مَعَ رِقَّةٍ حَوَاشَى الْكَلِمِ » . وَأَنْشَدَ
يَقُولُ :

وَعِلِمَ هَذَا الزَّمَنِ الْعَائِبِ	يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَمَّا مَضَى
أَوْ شَاهِدًا يُخْبِرُ عَنْ غَائِبِ	إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْعِلْمَ أَوْ أَهْلَهُ
واعتبر الصَّاحِبَ بِالصَّاحِبِ	فاعتبر الأرضَ بِسُكَّانِهَا

٢٣- وصية بعض العلماء لأبنائهم :

وأوصى عالم من العلماء ابنه ، فقال له كلمات قليلة ، ولكنها ثمينة وشاملة
وجامعة ، فقال لابنه هذه الوصية (٢) :

« تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّكُمْ إِنْ تَكُونُوا صِغَارَ قَوْمٍ فَعَسَى أَنْ تَكُونُوا كِبَارَ قَوْمٍ

(١) الجاحظ ، المرجع السابق ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ج ١ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

آخرين . ثم قال : « الناس بأزمانهم أشبهُ منهم بأبائهم ، وإذا رأيتم من رَجُل خَلَّةً فاحذروه ، واعلموا أنَّ عنده لها أخوات » .

٢٤- وصية الحجاج لمعلم ولده :

وأوصى الحجاج بن يوسف الثقفى مُعَلِّم ولده وصية توضح جوانب التربية التى يجب أن نعلمها أبناءنا بالترتيب الصحيح الأهم فالمهم . . . الخ ، فقال له (١) :

« علم ولدى السباحة قبل الكتابة ، فإنهم يصيبون من يكتب عنهم ، ولا يصيبون من يسبح عنهم » .

٢٥- وصية عبد الله بن جعفر لابنته :

وهذه من وصايا المسلمين الثمينة ، فلقد أوصى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب - رضى الله عنه - (وكان من أجواد العرب ، وولد بالحيشة ، وتوفى بالأبواء بالقرب من المدينة المنورة) ابنته وصية إيمانية شاملة ، تُحدد لها معالم الطريق ، فلقد كانت على وشك الزواج ، فقال لها (٢) :

« يا بُنَيَّ : إياكِ والغيرةُ ؛ فإنها مفتاح الطلاق ، وإياكِ والمعاتبةُ فإنها تورث البغض ، وعليك بالزينة والطيب لزوجك ، واعلمى أن أزين الزينة الكحل ، وأطيب الطيب الماء » .

٢٦- وصية عروة بن الزبير بن العوام بنيه :

ولقد أوصى عروة بن الزبير بن العوام - رضى الله عنه - بنيه يوما ، فقال لهم فى وصية شاملة بليغة (٣) .

كان عروة بن الزبير يقول لبنيه :

« يا بُنَيَّ : أنا أزهّد الناس فى عالم أهله ، فاهلموا إلَّيَّ فتعلموا منى ؛ فإنكم توشكون أن تكونوا كبار قوم ، إني كنت صغيرا لا يُنظر إلَّيَّ ، فلما أدركت من السن ما أدركت

(١) الجاحظ ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٩ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١١٣ ، ١١٤ .

جعل الناس يسألوننى ، وما من شيء أشد على امرئ من أن يُسأل عن شيء من أمر دينه فيجهله .

٢٧- وصية لعبد الله بن شداد :

أوصى أحد كبار التابعين وثقاتهم - وهو عبد الله بن شداد الليثي المدني ، رحمه الله - ابنه وصية حكيمة ، فقال له :

« أرى داعي الموت لا يُقْلَع ، وأرى مَنْ مَضَى لا يَرْجِع . لا تَزْهَدَنَّ في معروف ؛ فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُو صُرُوف . وكم من راغبٍ قد كان مرغوباً إليه ، وطالبٍ أصبح مطلوباً إليه . والزَّمانُ ذُو ألوان ، وَمَنْ يصحِبُ الزَّمانَ يرى الهوان . وإن غُلِبْتَ يوماً على المال فلا تُغْلِبَنَّ على الحيلة على حال . وَكُنْ أَحْسَنَ ما تكون في الظاهر حالا ، أَقْلَّ ما تكون في الباطن مالا » .

٢٨- وصية عتبة بن سفيان لمعلم ولده:

وقال عتبة بن سفيان لمعلم ومؤدب ولده (عبد الصمد) في وصية هامة ، قال له (١) :

(ليكن أَوَّلَ ما تبدأ به من إصلاحك يَتَى إصلاحك نَفْسَكَ ؛ فَإِنَّ أَعْيُنَهُمْ معقودة بعينك ، فالْحَسَنُ عندهم ما استحسنت ، والقبيحُ عندهم ما استقبحت ، عَلَّمَهُمْ كتابَ الله ، ولا تُكْرِهُهُمْ عليه فيمَلُّوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، ثم رؤهم من الشَّعرِ أَعْفَه ، ومن الحديثِ أَشْرَفَه ، ولا تُخْرِجْهُمْ من عِلْمٍ إلى غيره حتَّى يُحْكِمُوهُ ، فَإِنَّ ازدحامَ الكلامِ في السَّمْعِ مَضَلَّةٌ للفهم ، وَعَلَّمَهُمْ سِيَرِ الحُكَمَاءِ وأخلاقَ الأُدبَاءِ ، وجَنَّبَهُمْ محادثةَ النساءِ ، وتهذَّدهم بى وأدبهم دُونى ، وَكُنْ لَهُم كالطَّيِّبِ الذى لا يَجْعَلُ بالذَّوَاءِ حتَّى يعرف الذَّوَاءَ ، ولا تَتَكَلَّ على عُذْرِي ، فَإِنِّي قد اتَّكَلْتُ على كفايتك ، وزد في تأديبهم أزدك في بَرِّى إن شاء الله) .

٢٩- وصية ثمينه :

وهى وصية لأبى تمام الشاعر ، وهى وصية ثمينة جامعة شاملة ، قال (٢) :

(١) المرجع السابق ، ج ٢ ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٢) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، مرجع سابق ، ص ٢٢٦ .

عندى من الأيام ما لو أنه
لا تطلبن الرزق بعد شماسه
ما عَوْض الصبر امرؤ إلا رأى
أضحى بشارب مُرَقِدٍ مَغمُضا
فترومه سَجُعا إذا ما عَيْضا
مافاته دون الذى قد عَوْضا
٣٠- وصية ابن هبيرة لأبنائه :

ولقد أوصى ابن هبيرة بنيه مؤدبا إياهم ، فقال لهم (١) :
(لا تكوننَّ أوَّلَ مشيرٍ ، وإِيَّاكَ والرَّأى الفَطِير ، وتجنَّب ارتجالَ الكلام ، ولا تُشِرْ على
مستبِدٍّ ولا على وَغْدٍ ، ولا على متلوِّن ولا على كجوج ، وخَفِ الله فى موافقةِ هوى
المستشير؛ فإنَّ التماسَ موافقته لؤمٌ ، وسوء الاستماع منه خيانة) .

٣١- وصية للمهلب :

أوصى المهلب بنه ، فقال لهم (٢) :
(يابنَيَّ : تبادَلُوا تَحَابُّوا ؛ فإنَّ بنى الأمِّ يَخْتَلِفُونَ ، فكيف بنو العَلاتِ ؟ ! إنَّ البِرَّ يَنْسَأُ
فى الأَجَل ، ويزيد فى العدد ، وإنَّ القطيعة تُورِثُ القلَّةَ ، وتُغَيِّبُ النَّارَ بعد الدَّلَّةِ .
واتَّقُوا زَلَّةَ اللسانِ ؛ فإنَّ الرَّجُلَ تَزَلُّ رجله فينتعش ، ويزلُّ لسانه فيهلك . وعليكم فى
الحرب بالمكندة؛ فإنَّها أبلغ من النَّجدة ؛ فإنَّ القتالَ إذا وَقَعَ وقع القضاء ، فإنَّ ظَفِرَ
فقد سَعِدَ ، وإنَّ ظَفِرَ به لم يقولوا فَرَطَ) .

٣٢- وصية يزيد بن معاوية رضى الله عنه :

وأوصى الخليفة الأموى يزيد بن معاوية - رضى الله عنه - عقب توليه الخلافة وصية
لسلم بن زيادة عقب توليته ولاية خراسان ، فقال له (٣) :
(إنَّ أباك كَفَى أخاهُ عظيما ، وقد استكفَيْتَكَ صغيراً . فلا تَتَكَلَّنْ على عُذرِ منى
لك ، فقد اتَّكَلْتَ على كفايةِ منك . وإِيَّاكَ منى قبل أن أقول إِيَّاى منك ؛ فإنَّ الظَّنَّ

(١) الجاحظ ، ج ٢ ، ص ١٨٨ .

(٢) الجاحظ ، المرجع السابق ، ج ٢ ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٣) الجاحظ ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٥١ .

إذا أخلفَ مني فيكَ أخلفَ منك فيَّ . وأنت في أدنى حَظِّكَ فاطلب أقصاه . وقد أتعبَكَ أبوك ، فلا تريحَنَّ نفسَكَ . وكنْ لنفسِكَ تَكُنْ لكَ ، واذكُرْ في يومكَ أحاديثَ غَدِكَ ، تَسْعَدُ إن شاء الله .

٣٣- وصية لأحد التابعين :

أوصى داود بن نصير الطائي العابد- رحمه الله ، وهو أحد التابعين من الكوفة ، وفقه زاهد- رجلا طلب الوصية منه ، فقال له في وصية إيمانية ثمينة ^(١) : « اجعل الدنيا كيوم صُمتته ، واجعل فطرَكَ الموت ؛ فكأن قَدْ ، والسلام » قال : زدني .

قال : لا يترك الله عند ما نهاك عنه ، ولا يَفْقِدُكَ عند ما أمَرَكَ به . قال : زدني .

قال : ارضَ باليسير مع سلامة دينك ، كما رضى قومٌ بالكثير مع هلاك دينهم .

٣٤- وصية من خير الكلام في العزاء :

وقال صاحب لأبى بكر الهذلى - رحمه الله - لرجل يعزیه عن أخيه الذى توفاه الله ويوصيه بخير الكلام ، فقال له ^(٢) :

« أوصيك بتقوى الله وحده ، فإنه خلقك وحده ، ويبعثك يوم القيامة وحده ، والعجب كيف يعزى ميتا عن ميت ، والسلام » .

٣٥- مجموعة من وصايا سيدنا لقمان عليه السلام :

وهناك العديد من الوصايا لسيدنا لقمان - عليه السلام - لابنه وهو يعظه ، نختار بعضا منها في مقامنا هذا :

- قال لابنه : « يا بني ، إياك والضجر ، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق » وقال له : « أربع لا ينبغي أن يأنف منهن وإن كان

(١) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٤ ، ج ٢

شريفاً أو أميراً : قيامه عن محله لأبيه ، وخدمته لضيفه ، وقيامه على فرسه ، وخدمته للعالم ^(١)

- وقال له أيضاً : « يا بني ازحم العلماء بركبتك ، ولا تجادلهم فيمقتوك ، وخذ من الدنيا بلاغك ، وأبق فضول كسبك لآخرتك ، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالاً ، وعلى أعتاق الرجال كلاً ، وصم صوما يكسر شهوتك ، ولا تصم صوما يضر بصلاتك ، فإن الصلاة أفضل من الصوم ، وكن كالأب لليتيم ، وكالزوج للأرملة ، لا تُحَابِ القريب ، ولا تجالس السفهية ، ولا تخالط ذا الوجه البتة ^(٢) » وقال له في وصية طويلة ^(٣) :

« يا بني : مر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، وتهاون بالمصائب ، وحاسب نفسك قبل أن تسبق إليها ، واعرف العثرة ؛ فإنك إن عرفت العثرة لم تفرط في أمرك ، يا بني : أكثر ذكر الله - عز وجل - فإن الله تعالى ذاك من ذكره . يا بني : لتكن ذنوبك بين عينيك ، وعملك خلف ظهرك . يا بني : فرّ من ذنوبك إلى الله ، ولا تستكثر عملك . يا بني : أطع الله ، فإن من أطاع الله كفاه ما أهمه ، وعصمه من خلقه . يا بني : لا تركز إلى الدنيا ، ولا تشغل قلبك بحبها ، فإنك لم تخلق لها ، وما خلق الله خلقاً أهون عليه منها ؛ لأنه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين ، ولم يجعل بلاءها عقوبة للعاصين . يا بني : لا تفرح بطول العافية ، واكتم البلوى ، فإنه من كنوز البر ، واصبر عليها ، فإن ذلك ذخرك في المعاد . يا بني : ارض باليسير ، واقنع بما رزقت . لا تمدنّ عينيك إلى رزق غيرك ، فإن ذلك يرديك . يا بني : صم وضم فمك من الطعام ، وامتلئ من الحكمة . يا بني : جالس الحكماء ، وارض بقولهم تزداد حكمة . يا بني : تكلم بالحكمة عند أهلها ، وعليك بمجالسة أهل الذكر ، فإنها حياة للعلم ، وتحدث في القلوب خشوعاً . يا بني : أقصد الحاجة ، ولا تنطق بما لا يعينك ، ولا تكن مضحاكاً من غير

(١) الجاحظ ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) راجع الجاحظ ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ ، ج ٢

(٣) راجع : د / محمد عقله (تربية الأولاد في الإسلام) عمان ، الرسالة الحديثة ، ١٤١٠ هـ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٥ .

مضحك ، ولا مشاء في غير أرب . وكن لئلا الجانب ، قريب المعروف ، كثير التفكير ، قليل الكلام إلا في الحق ، كثير البكاء ، قليل الفرح . ولا تمازح ، ولا تصاحب ، ولا تمار ، وإذا سكنت فاجعل صمتك في تفكير ، وإذا تكلمت فتكلم في حكمة .

يا بني : عليك بالصمت ، فإنك تحمد عليه . فما ندمت على السكوت قط ، وربما تكلمت فندمت . يا بني : لا يكن الديك أكيس منك ، إذا انقضى الليل خفي جناحيه ، وصرخ إلى الله بالتسبيح . وإياك والغفلة ، خف الله ، ولا تعلم من نفسك ، ولا تغتر بقول الجاهل إن في يديك لؤلؤة وأنت تعلم أنها بكرة . انتفع بما علمك الله ؛ فإن العالم ليس كالجاهل ، وإن خير العلم مانع ، وخير العلم ما أتبع . وإتبع ما ينفع الله بالعلم من اتبعه ، ولا يتنفع به من علمه . يا بني : أعلم الناس بالله أشدهم خشية له . يا بني : تعلم الخير وعلمه ، وأعلم أن الناس بخير ما بقي الأول يعلم الآخر ، وإنما كلام المعلم كالينابيع يحتاجها الناس يوماً هذا ، ويوماً هذا ، فيتنفعون بها . عليك بالتواضع ، فإن أحق الناس بالتواضع أعلمهم بالله ، وأحسنهم عملاً . وأعلم أن من نور الإيمان قلبه ، أنطق بالحق لسانه ، فيتنفع به ، وينفع الله به غيره . ومن أنطق الله بالحق لسانه فلم يتنفع به كان خراب دينه في لسانه ، فإن فساد الرجل لنفسه من الكلمة الواحدة ، كما يكون من الشرارة الصغرى النار العظيمة والفساد . يا بني : إن الفاحش البذيء الشقي إن تحدث فضحه لسانه ، وإن سكنت فضحه العي ، وإن عمل أساء ، وإن فعل أضرع ، وإن استغنى بطر ، وإن افتقر قنط ، وإن فرح سُرر ، وإن حُوف أسر ، وإن قدر أفحش ، وإن قُدر عليه فهو مهين ، وإن سأل ألحف ، وإن سئل بخل ، وإن ضحك نهق ، وإن بكى جأر ، وإن دُكر غضب ، وإن زجر عَنف ، وإن أُعطي من ، وإن أُعطي لم يشكر ، وإن أسررت إليه خائنه ، وإن أسر إليك اتهمك ، إن كان دونك هزلك ، وإن كان فوقك قهرك . وإن صحبتك عَنَّاكَ ، وإن اعتزلت لم يَدْعُكَ .

لا حكمة تغنيه ، ولا بحكمة غيره تنفعه . لا يستريح من الزجر ، ولا يستريح زاجره ، ولا يتقضى تعليمه ، ولا يفرغ معلمه ، ولا يسر به أهله ، ولا يفتر عنهم حزنه . إن كان أكبرهم عني من دونه ، وإن كان أصغرهم عني من فوقه . لا يَرشُدْ إن أرشد ، ولا يطيع إن أمر . ولا يستفيد من عاشره ، ولا يسلم من اعتزله ، ولا يصيب إن قال ... إلى أن يقول :

يابني : تفهم الحكمة وأخلاقها كلها ، واجعلها لك شغلاً ، وفرغ نفسك لها ، وقر عينا إذا جمعتها ، واعلم أن الحكمة لا تصلح إلا بالدين ... وأن اللسان باب الحكمة ، فإذا ضيعت الحكمة دخل من لا يريد أن يدخل ، فإذا حفظت الباب حفظت الخزانة . . يابني : لم تضع مالك وتصلح مال غيرك ؟ فإن مالك ما قدمت لنفسك ، ومال غيرك ماتركت وراء ظهرك . . يابني : إنه من يرحم يرحم ، ومن يصمت يسلم ، ومن يفعل الخير يغتم ، ومن يفعل الباطل يندم . ومن يكره الشر يعتصم ، ومن لا يملك لسانه يخسر ... يابني : كن سهل الخلق ، طلق الوجه ، وهو رأس أخلاق الصالحين ... يابني : دع عنك كل ما يعتذر منه إلى الناس ، واقبل عذر من اعتذر إليك ، ولا تعجبن بما تعمل وإن كثر ، فإنك لا تدري أيقبل منك أم لا ... يابني : ما عند الله أفضل من العقل ، وما تم عقل امرئ حتى يكون فيه عشر خصال : الكبر منه مأمون ، والرشد عنده مأمول ، نصيبه من الدنيا القوت ، وفضل ماله مبذول ، التواضع أحب إليه من الكبر ، الذل أحب إليه من العز ، لا يسأم من طلب العفة طول عمره . ولا يتبرم من طلب الحوائج قبله ، يستكثر قليل المعروف من غيره ، ويستقل الكثير من نفسه ، والخصلة العاشرة وهي التي شاد بها مجده ، وعلا قدره : يرى جميع الناس خيراً منه ، وأنه شرهم . . »

٣٦- وصية لطالب العلم :

وهذه وصية من الشعر العربي الفصيح لطالب العلم ، للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي - رحمه الله تعالى - يقول فيها ^(١) :

يا طالب العلم لا تبغى به بدلا	فقد ظفرت ورب اللوح والقلم
وقدس العلم واعرف قدر حرمة	في القول والفعل ، والآداب فالتزم
وانهض بعزم قوى لا انشاء له	لو يعلم المرء قدر العلم لم ينم
والنصح فابذله للطلاب محتسبا	في السر والجهر ، والأستاذ فاحترم
ومرحبا قل لمن يأتيك يطلبه	وفيهم احفظ وصايا المصطفى بهم
والنية اجعل لوجه الله خالصة	إن البناء بدون الأصل لم يقم

(١) راجع : عبد الله بن جار الله الجار الله (كلمات غنارة) مطابع النصر الحديثة بالرياض ، بدون تاريخ ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

أَخْسِرُ بِصَفْقَتِهِ فِي مَوْقِفِ النَّدَمِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ حَظَّ وَلَا قَسَمِ
الْإِسْرَاءِ مَوْعِظَةً لِلْحَاذِقِ الْفَهْمِ
كَذَا مِبَاهِةِ أَهْلِ الْعِلْمِ لَا تَرَمِ
إِلَى الْإِلَهِ أَلَدَ النَّاسِ فِي الْخِصَمِ
أَعْمَالُ صَاحِبِهِ فِي سِيلِهِ الْعَرَمِ
وَقَدَمِ النَّصِّ ، وَالْآرَاءِ فَاتِهِمِ
يَبِينُ نَهْجُ الْهَدْيِ مِنْ مَوْجِبِ النِّقَمِ
وَالْكَسْرِ فِي الدِّينِ صَعْبٌ غَيْرُ مِلْتَمِ
وَبِالْعَتِيقِ تَمَسُّكٌ قَطٌّ وَاعْتَصَمِ
يَجْلِسُو بِنُورِ هِدَايَةِ كُلِّ مِنْهُمْ
مِنْهُ اسْتُمِدَّ ، أَلَا طَوْبَى لِمُغْتَمِ
فِي لَعْنَةِ اللَّهِ وَالْأَقْسَامِ كُلِّهِمْ
مَنْ الْجَحِيمِ لَجَامَا لَيْسَ كَاللُّجُجِ
مَاذَا بِكَتْمَانِ بَلْ صَوْنِ فَلَا تَلَمِ
مَنْ مُسْتَحَقٌّ لَهُ فَافْهَمِ وَلَا تَهْمِ
سَبِيلُ رَبِّكَ بِالتَّيْيَانِ وَالْحَكَمِ
فِيهِ ، وَفِي الرِّسْلِ ذِكْرِي فَاقْتَدِهِمْ
خَيْرَ غَدَاكَ مَنْ حَمَرِ مِنَ النِّعَمِ
تَعْدِلْ وَقُلْ رَبِّي الرَّحْمَنُ وَاسْتَقِمِ
مُحَمَّدٌ خَيْرُ رُسُلِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

وَمَنْ يَكُنْ - لِيَقُولَ النَّاسُ - يَطْلُبُهُ
وَمَنْ بِهِ يَبْتَغَى الدُّنْيَا فَلَيْسَ لَهُ
كَفَى بِهَا كَانَ فِي شُورَى وَهَوْدٍ وَفِي
إِيَّاكَ وَاحْذَرِ عَمَارَةَ السَّفِيهِ بِهِ
فَلِنْ أَبْغِضْ كُلَّ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ
وَالْعُجْبَ فَاحْذَرِ إِنْ الْعَجَبُ مَجْتَرَفِ
وَبِالْمُهْمِ الْمُهْمِ ابْدَأْ لِتَدْرِكِهِ
قَدَمِ وَجُوبِا عُلُومِ الدِّينِ إِنْ بِهَا
وَكُلِّ كَسْرِ الْفَتَى فَالِدِّينِ جَابِرِهِ
دَعِ عَنْكَ مَا قَالَهُ الْعَصْرَى مُتَحَلِّا
مَا الْعِلْمُ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ أَوْ أَثَرِ
مَا ثَمَّ عِلْمُ سِوَى الْوَحْيِ الْمُبِينِ وَمَا
وَالْكَتْمُ لِلْعِلْمِ فَاحْذَرِ ؛ إِنْ كَاتَمَهُ
وَمَنْ عَقُوبَتُهُ فِي الْخُلْدِ أَنْ لَهُ
وَصَائِنِ الْعِلْمِ عَمَّنْ لَيْسَ بِحَمَلِهِ
وَأِنَّمَا الْكَتْمُ مَنَعُ الْعِلْمِ طَالِبُهُ
وَأَتَّبِعِ الْعِلْمَ بِالْأَعْمَالِ وَادْعِ إِلَى
وَاصْبِرْ عَلَى لَاحِقٍ مِنْ فِتْنَةٍ وَأَذَى
لِوَاحِدٍ بِكَ يَهْدِيهِ الْإِلَهِ لَذَا
وَاسْلُكْ سِوَاءَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا
ثُمَّ الصَّلَاةِ عَلَى الْمَعْصُومِ مِنْ خَطَا

٣٧- وصية للشباب :

وهي وصية لأحد التابعين ، في صورة أرجوزة خفيفة لطيفة ، موجهة لشباب الأمة ، للعلامة عبد الله بن حسين بن طاهر - رحمه الله - قال فيها ^(١) :

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٨ - ٢٠٠

أوصيكم يا معشر الإخوان
إياكم أن تهملوا أوقاتكم
وإنما غنيمة الإنسان
ما أحسن الطاعات للشبان
واعمروا أوقاتكم بالطاعة
ومن تفته ساعة من عمره
ومن يكن فرط في شبابه
ويأسعادة امرئ قضاها
أحب ربي طاعة الشبان
فتب إلى مولاك يا إنسان
ومن يقل إنى صغير أصبر
فإن ذاك غره إبليس
لا خير في من لم يتب صغيرا
مجانبا للإثم والعصيان
ملازما تلاوة القرآن
مراقبا لله في الشؤون
مجانبا رذائل الأخلاق
محاربا لنزعة الضلال
فإن أردت الفوز بالنجاة
يا من يروم الفوز في الجنات
انهض إلى السجادات في الأسحار
واحذر رياء الناس في الطاعات
واختر من الأصحاب كل مرشد
وصحبة الأشرار داء وعمى
فإن تبعت سنة النبي

عليكم بطاعة الديان
فتندموا يوما على ما فاتكم
شبابه والخسر في التواني
فاسمعوا لتقوى الله يا إخواني
والذكر كل لحظة وساعه
تكن عليه حسرة في قبره
حتى مضى عجبت من تبايه
في عمل يرضى به مولاها
يا فوزهم بجنة الرضوان
من قبل أن يفوتك الأوان
ثم أطيع الله حين أكبر
وقلبه مغلق مطموس
ولم يكن بعيبه بصيرا
مخالفا للنفس والشيطان
مستعصما بالذكر من نسيان
محاذرا من سائر الفتون
مجافيا كل ما عدا الخلاق
وصولة الأهوا وسوء الحال
فاسلك سبيل الحق والهداة
بالمشتهى وسائر اللذات
واحرص على الأوراد والأذكار
في سائر الأحوال والأوقات
إن القرين بالقرين يقتدى
تزيد في القلب السقيم السقما
فاجتنبن قرناء السوء

واختر من الزوجات ذات الدين
وزود الأولاد بالآداب
وهذب النفوس بالقرآن
واحرص على ما سنه الرسول
دع عنك ما يقوله الضلال
وأصدق الحديث قول ربنا
يا أيها الغفلان عن مولاه
أما علمت الموت يأتي مسرعا
وليس للإنسان من بعد الأجل
فبادر التوبة في إمكانها
يا أيها المغرور ما هذا العمل
لو يعلم الإنسان قدر موته
ما لى أراك لم تفد فيك العبر
وَأَفْلَسُ الناس طويل الأمل
نهاره يمضيه في البطالة
ادع لنا يا سامعا وصيتي
والستر فضلا منه للعيوب
يارب جدد بالفضل والإحسان
ولا تؤاخذنا على النسيان
يارب واحفظنا من الفتان
يارب وانصرنا على الأعداء
ودينك احفظه مع الأمان
والحمد لله على الختام
ما أعظم الإنعام من مولانا
لنعمة الإيمان والإسلام

وكن شجاعا في حمى العرين
تحفظ قلوبهم من الأوصاب
ولا تدعها نهبة الشيطان
فهو الهدى والحق إذ يقول
ففيه كل الخسر والوبال
وخير هدى الله عن نبينا
انظر بأى سىء تلقاه
وليس للإنسان إلا ماسعى
إلا الذى قدمه من العمل
من قبل أن تصد عن إتيانها
إلى متى هذا التراخى والكسل
ماذا طول الدهر طعم قوته
ويح لهذا القلب أقسى من حجر
مضيع العمر كثير الخطل
وليله فى النوم بئس الحالة
بالعفو والصفح مع العتية
والمحو فى الكتاب للذنوب
والروح والريحان والجنان
ولا على الأخطاء والعصيان
ولا تذقنا حرقه النيران
واحم الحمى من هيشة الغوغاء
للأهل فى الأقطار والأوطان
والشكر لله على الإنعام
وأجزل الأفضال إذ هدانا
والاقتدا بسيد الأنعام

ثم صلاة الله والسلام
على النبي المصطفى البشير
وآله ما انبلج الصباح
ما ناح طير الأيك والحمام
الهاشمي المجتبى النذير
وصحبه ما هبت الرياح

٢٨- نصيحة لابن تيمية :

وهذه نصيحة عن أصول العقيدة كتبها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - قال فيها ^(١) :

ياسائل عن مذهبي وعقيدتي
اسمع كلام محقق في قوله
حب الصحابة كلهم لي مذهب
ولكلهم قدر وفضل ساطع
وأقول في القرآن ما جاءت به
وجميع آيات الصفات أمرها
وأرد عهدتها إلى نقالها
قبح لمن نبذ القرآن وراءه
والمؤمنون يرون حقاً ربهم
وأقر بالميزان والحوض الذي
وكذا الصراط يمد فوق جهنم
والنار يصلها الشقى بحكمه
ولكل حى عاقل في قبره
هذا اعتقاد الشافعي ومالك
فإن اتبعت سبيلهم فموفق

رزق الهدى من للهداية يسأل
لا ينثنى عنه ولا يتبدل
ومودة القريبى بها أتوسل
لكنما الصديق منهم أفضل
آياته فهو الحكيم المنزل
حقاً ، كما نقل الطراز الأول
وأصونها عن كل ما يتخيل
وإذا استدل يقول قال الأخطل
وإلى السماء بغير كيف ينزل
أرجو بأنى منه ربا أنهل
فموحد ناج وآخر مهمل
وكذا التقى إلى الجنان سيدخل
عمل يقارنه هناك ويسأل
وأبى حنيفة ثم أحد ينقل
وإن ابتدعت فما عليك معول

(١) المرجع السابق ، ص ١٩ .

٣٩- وصية لابن القيم :

وابن القيم - رحمه الله تعالى - له وصية جامعة شاملة ، تُحدد لنا معالم الطريق ، وتوضح لنا بعض جنباته ، أوردها في كتابه روضة المحيين ، فقال فيها (١) :

(ما حرم الله على عباده شيئا إلا عوضهم خيرا منه ، كما حرم الاستقسام بالأزلام ، وعوضهم عنه بالاستخارة ، وحرم الربا وعوضهم عنه التجارة الربحية ، وحرم القمار وأعاضهم عنه المسابقة النافعة ، وحرم عليهم الحرير فعوضهم عنه أنواع الملابس الفاخرة ، وحرم الزنا واللواط فأعاضهم عنهما بالنكاح بالنساء الحسنات ، وحرم عليهم شرب الخمر وأعاضهم عنه الأشربة اللذيذة المتنوعة ، وحرم آلات اللهو وعوضهم عنها سماع القرآن ، وحرم عليهم الخبائث من المطاعم وغيرها وعوضهم عنها الطيبات .

فمن تلمح هذا وتأمله هان عليه ترك الهوى المردى واعتاض عنه بالنافع المجدى ، وعرف حكمة الله ورحمته في الأمر والنهى).

٤٠- وصية عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - :

وهي وصية جامعة شاملة قال فيها (٢) :

(أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير المثل ملة إبراهيم ﷺ وأحسن السنن سنة محمد ﷺ وشَرُّ الأمور مُخَدَّنَاتُهَا ، وخير الأمور عزائمها ؛ ما قَلَّ وكفى خيراً مما كثر وألمى . نفسٌ تُنَجِّيهَا خَيْرٌ من إِمَارَةٍ لَا تُخَصِّيهَا ؛ خيرُ الغنى غنى النفس ، خَيْرُ مَا أَلْقَى فِي الْقَلْبِ الْيَقِينُ ، الخمرُ جَمَاعُ الْآثَامِ . النساءُ جِبَالُهُ الشَّيْطَانِ . الشبابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجَنُونِ . حُبُّ الْكَفَايَةِ مِفْتَاحُ الْمَعْجَزَةِ ، مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَأْتِي الْجَمَاعَةَ إِلَّا دَبْرًا . وَلَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا نَزْرًا . أَعْظَمُ الْخَطَايَا اللِّسَانُ الْكَذُوبُ . سَبَابُ الْمُؤْمِنِ فِسْقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مَعْصِيَةٌ . مَنْ يَتَأَلَّ عَلَى اللَّهِ يُكْذِبْهُ وَمَنْ يَغْفِرْ يُغْفَرْ لَهُ . مَكْتُوبٌ فِي دِيْوَانِ الْمُحْسِنِينَ : مَنْ عَفَا عَفِيَ عَنْهُ . الشَّقَى مَنْ شَقَى فِي بَطْنِ أُمِّهِ . السَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بغيرِهِ . الْأُمُورُ بِعَوَاقِبِهَا . مِلَاكُ الْأُمْرِ خَوَاتِمُهُ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(١) الجاحظ ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ٦٥- ٧٥ .

أحسن الهدى هدى الأنبياء . أتبج الضلالة الضلالة بعد الهدى . أشرف الموت الشهادة . من يعرف البلاء يصبر عليه . من لا يعرف البلاء ينكره) .

٤١- وصية عزاء ، وهى وصية للخليفة المهدي^(١) :

(أما بعد : فإن أحق من عرف حق الله عليه فيما أخذ منه ، من عظم حق الله عليه فيما أبقى له . واعلم أن الماضى قبلك هو الباقي لك ، وأن الباقي بعدك هو المآجورُ فيك ، وأن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يُعافون منه) .

٤٢- وصية المنذر لابنه النعمان :

وهذه وصية هامة ، ونقصها للعبرة والتواصي^(٢) :

(إياك وإطراح الإخوان ، وإطراف المعرفة ، وإياك وملاحاة الملول ، وممازحة السفه . وعليك بطول الخلوة ، والإكثار من السمر . والبس من القشر ما يزينك في نفسك ومروءتك . واعلم أن إجماع الخير كله الحياء فعليك به ، فتواضع في نفسك وانخدع في مالك . واعلم أن السكوت عن الأمر الذى يغنيك خير من الكلام ، فإذا اضطرت إليه فتح الصديق والإيجاز ، تسلم إن شاء الله تعالى) .

٤٣- وصية عن اللسان :

وهذه وصية من أحد العلماء البلغاء عن اللسان ، قال^(٣) :

(اللسان أداة يظهر بها حسن البيان ، وظاهر يخبر عن ضمير ، وشاهد ينبثق عن غائب ، وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يُرد به الجواب ، وشافع تُدرك به الحاجة ، وواصف تُعرف به الحقائق ، ومُعز يُنقى به الحزن ، ومؤنس تذهب به الوحشة ، وواعظ ينهى عن القبيح ، ومزين يدعو إلى الحسن ، وزارع يحرث المودة ، وحاصد يستأصل الضغينة ، ومُله يُوثق الأسباع) .

(١) رواها محمد بن حرب اللالى ، وقاما إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمى ، راجع المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٧٤ .

(٢) الجاحظ ، البيان والتبيين ، مرجع سابق ، ج ٤ ص ٧٣

(٣) المرجع السابق ، ج ٢ ص ٧٥ .

٤٤ - وصية للإمام مالك - رحمه الله :-

« من طلب الدين بالكلام تزندق ، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ، ومن طلب غريب الحديث كذب » (١) .

٤٥ - وصية للإمام الشافعي - رحمه الله - (٢) :

قال - رحمه الله - في وصية شاملة عن مشيئة الله :

وما شئت إن لم تشأ لم يكن	ما شئت كان وإن لم أشأ
ففى العلم يجرى الفتى والمسن	خلقت العباد على ما علمت
وهذا أعنت وذا لم تعن	على ذا منتت وهذا خذلت
ومنهم قبيح ومنهم حسن	فمنهم شقى ومنهم سعيد

٤٦ - وصية لعلى بن الحسين :

« يا بنى اصبر على النائية ، ولا تتعرض للحقوق ، ولا تجب أخاك إلى شىء مضرته عليك أعظم من منفعتة له » (٣) .

٤٧ - وصية لعبدالله بن مسعود (٤) :

(ما أحد من الناس يوم القيامة إلا يتمنى أنه كان يأكل فى الدنيا قوتاً ، وما يضر أحدكم على ما أصبح وأمسى من الدنيا إلا أن تكون فى النفس حرازة ، ولأن بعض أحدكم على جرة حتى تطفأ خير من أن يقول لأمر قضاءه الله : ليت هذا لم يكن !) .

٤٨ - مجموعة من الوصايا المتفرقة (٥) :

أ - وعن الحسن قال : جاء قيس بن عاصم إلى النبى ﷺ فلما رآه قال : هذا سيّد

(١) د . محمد بن عبد الرحمن الخميس ، اعتقاد الأئمة الأربعة ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤١٢ هـ ، ص ٩٦ ،

رواه الهروى عن إسحاق بن عيسى .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٩ ، ٥٠ رواه البيهقى .

(٣) الجاحظ ، مرجع سابق . ج ٢ ، ص ٧٦ .

(٤) رواه أبو نعيم فى الحلية ، راجع حياة الصحابة ، مرجع سابق ، ص ٥٠١ ج ٢

(٥) المرجع السابق ج ٢ ص ٣٣ ، ٣٤ .

أهل الوبر . فقال : يا رسول الله ، خَبَرْنِي عَنِ الْمَالِ الَّذِي لَا تَكُونُ عَلَيْهِ تَبِعَةٌ مِنْ ضَيْفٍ ضَافِنِي ، أَوْ عِيَالٍ كَثُرُوا عَلَيَّ . قَالَ : « نِعِمَّ الْمَالُ الْأَرْنَعُونَ ، وَالْأَكْثَرُ السُّتُونَ ، وَوَيْلٌ لِأَصْحَابِ الْمِثْنِ إِلَّا مَنْ أَعْطَى فِي رِشْلَيْهَا وَتَجَدَّتْهَا ، وَأَطْرَقَ فَخْلُهَا ، وَأَفْقَرَ ظَهْرُهَا ، وَنَحَرَ سَمِينُهَا ، وَأَطْعَمَ الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ » . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَكْرَمَ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ وَأَحْسَنَهَا ، وَمَا يُحِلُّ بِالْوَادِي الَّذِي أَكُونُ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ إِبِلٍ . قَالَ : فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِالطَّرِيقَةِ ؟ قَالَ : تَغْدُو الْإِبِلَ وَيَغْدُو النَّاسُ ، فَمَنْ شَاءَ أَخَذَ بِرَأْسِ بَعِيرٍ فَذَهَبَ بِهِ . قَالَ : فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِالْمَنِيعَةِ ؟ قَالَ : إِنِّي لَأَمْنَحُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةَ . قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ مَالُ مَوْلَاكَ ؟ قَالَ : بَلِ مَالِي . قَالَ : « فَمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ أَعْطَيْتَ فَأَمْضَيْتَ . وَمَا سِوَى ذَلِكَ لِلْوَارِثِ » .

ب . (١) وذكر أبو المقدام هشام بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي قال : « دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، فَجَعَلْتُ أَحِذُّ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِي : يَا بَنَ كَعْبَ ، مَا لَكَ تُحِذُّ النَّظَرَ إِلَيَّ ؟ قُلْتُ : لِمَا تَحَلَّ مِنْ جَسْمِكَ ، وَتَغَيَّرَ مِنْ لَوْنِكَ . قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتَنِي بَعْدَ ثَلَاثَةِ فِي قَبْرِى ، وَقَدْ سَأَلْتُ حَدِثَتَايَ عَلَى وَجْهَتِي ، وَابْتَدَّرَ فَمِي وَأَنْفِي صَدِيدًا وَدُودًا ؛ كُنْتُ وَاللَّهِ أَشَدَّ نَكْرَةً لِي . أَعِذْ عَلَيَّ حَدِيثًا كُنْتُ حَدَّثْتَنِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ شَرَفًا ، وَإِنْ أَشْرَفَ الْمَجَالِسُ مَا اسْتَقْبَلَ بِهِ الْقَبْلَةَ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَعَزَّ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ . وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدَيِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدَيْهِ » ؛ ثُمَّ قَالَ : « أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ ؟ » قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « مَنْ نَزَلَ وَحْدَهُ ، وَمَنْعَ رِفْدَهُ ، وَجَلَدَ عَبْدَهُ » . ثُمَّ قَالَ : « أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مَنْ ذَلِكَ ؟ » . قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « مَنْ لَا يُقْبَلُ مَعْدِرَةٌ ، وَلَا يَغْفَرُ ذَنْبًا » . ثُمَّ قَالَ : « أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مَنْ ذَلِكَ ؟ » قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « مَنْ يَبْغِضُ النَّاسَ وَيَبْغِضُونَهُ . إِنْ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، لَا تَكَلِّمُوا بِالْحِكْمَةِ عِنْدَ الْجُهَالِ فَتُظْلِمُوا ، وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْلَهَا فَتُظْلَمُوا ، وَلَا تَنْظُمُوا وَلَا

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

تَكَافَتُوا ظَالِمًا فَيُطْلُ فَضْلُكُمْ . يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ : الْأُمُورُ ثَلَاثَةٌ : أَمْرٌ تَبَيَّنَ رُشْدُهُ فَاتَّبِعُوهُ ، وَأَمْرٌ تَبَيَّنَ غِيهِ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَأَمْرٌ اخْتَلَفَ فِيهِ فإِلَى اللَّهِ فِرْدُوهُ .

ج - ^(١) وقال رجل لابن عباس - رحمه الله - : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ : رَجُلٌ قَلِيلُ الذَّنُوبِ قَلِيلُ الْعَمَلِ ، أَوْ رَجُلٌ كَثِيرُ الذَّنُوبِ كَثِيرُ الْعَمَلِ ؟ فَقَالَ : مَا أَعْدَلُ بِالسَّلَامَةِ شَيْئًا .

د - ^(٢) عبدالله المبارك قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح بن عبدالله الحَكَمَى :

« إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَدَعَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ مَا يَكُونُ حَاجِزًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَافْعَلْ ، فَإِنَّهُ مِنْ اسْتَوْعَبِ الْحَلَالَ كُلَّهُ تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَى الْحَرَامِ » .

هـ - ^(٣) قال : قال لقمان لابنه : ثَلَاثَةٌ لَا يُعْرِفُونَ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ : لَا يُعْرِفُ الْحَلِيمُ إِلَّا عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَلَا الشَّجَاعُ إِلَّا فِي الْحَرْبِ ، وَلَا تَعْرِفُ أَخَاكَ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ .

و - ^(٤) وقيل لشيخ : أَيْنَ شَبَابُكَ ؟ قَالَ : « مَنْ طَالَ أَمْدُهُ ، وَكَثُرَ وَلَدُهُ ، وَقَلَّ عَدَدُهُ ، وَذَهَبَ جَلَدُهُ ، ذَهَبَ شَبَابُهُ » .

وقال زياد : لَا يُعْدِمُنْكَ مِنَ الْجَاهِلِ كَثْرَةُ الْإِلْتِفَاتِ ، وَسُرْعَةُ الْجَوَابِ .

وقال عبد الرحمن بن أمّ الحكم : لَوْ لَا ثَلَاثٌ مَا بَالَيْتَ مَتَى مِتَّ : تَزَاخُفُ الْأَحْرَارُ إِلَى طَعَامِي ، وَبِذَلِّ الْأَشْرَافِ وَجُوهُهُمْ إِلَيَّ فِي أَمْرِ أَجْدِ السَّبِيلِ إِلَيْهِ ، وَقَوْلُ الْمَنَادِي : الصَّلَاةُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ .

وقال ابن الأشعث : لَوْ لَا أَرْبَعُ خَصَالٍ مَا أُعْطِيتُ بَشَرِيًّا طَاعَةً : لَوْ مَاتَتْ أُمُّ عِمْرَانَ - يَعْنِي أُمَّهُ - وَلَوْ شَابَ رَأْسِي ، وَلَوْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ رَأْسِي صَغِيرًا .

^(١) الجاحظ المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

^(٢) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٧٠ .

^(٣) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٧٦ .

^(٤) الجاحظ ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١١٤ .

ز- (١) وقال الأحنف بن قيس : من ظلم نفسه كان لغيره أظلم ، ومن هدم دينه كان لمجده أهدم ، وذهب قوم إلى أن سوء الظن بها أبلغ في صلاحها ، وأوفر في اجتهادها ، لأن للنفس جُوراً لا ينفك إلا بالسخط عليها ، وغرورها لا ينكشف إلا بالتهمة لها ، لأنها محبوبة تجور إدلالاً ، وتفر مكرراً ، فإن لم يسئ الظن بها ، غلب عليه جُورها ، وتموه عليه غرورها ، فصار بميسورها قانعاً ، وبالشبهة من أفعالها راضياً . وقد قالت الحكماء : من رضى عن نفسه أسخط عليه الناس . وقال كشاجم :

لم أرض عن نفسى مخافة سخطها	ورضا الفتى عن نفسه إغضاؤها
ولَو اننى عنها رضيت لقصرت	عما تزيد بمثله آدابها
وبَيَّئْتُ آثارَ ذاك فأكثرث	عذلى عليه فطُل فيه عتابها

وقد استُحسن قول أبى تمام الطائى :

ويسئ بالإحسان ظنا لا كمن هو بابنه وبشعره مفتون

كانت تلك مجموعة مختارة من الوصايا الهامة الشاملة لأئمة رجال الفكر الإسلامى ، فى عصور مختلفة . بدءاً من عصر الصحابة ، ذكرناها كوصايا إسلامية ، لو اتبعناها لوصلنا إلى مرحلة متقدمة من الإيمان والسلام . . .

* * *

(١) أدب الدنيا والدين للهاوردى ، ص ٢٣٠

سادسا :

وصايا بعض الدعاة المعاصرين

وفي هذا المقام يقدم لنا بعض رجال العلم الإسلامى ، وبعض الدعاة إلى سبيل الله - عز وجل - وصايا فريدة من أجل سعادتنا فى الدنيا والآخرة ، وهذه الوصايا الجامعة الشاملة سيكون لها الأثر الطيب فى حياتنا وفى سعادتنا إذا اتبعناها ، بمشيئة الله عز وجل ، وهذه الوصايا لعلماء أفاضل خصصوا كل وقتهم وجهدهم لنصرة دين الله - عز وجل - وهامهم يؤدون واجب الوصية تجاه المسلمين ، وسنختار بعض نهاج من وصايا الصالحين :

١- وصية فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز لكافة المسلمين :

والشيخ عبد العزيز بن باز - أكرمه الله - من العلماء الأجلاء الذين لا يخشون فى الحق لومة لائم ، وهو الرئيس العام لإدارات البحوث والفتوى والإفتاء ، وهو رئيس المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى ، وقد كرس حياته كلها لخدمة ونصرة الإسلام ، جزاه الله خيرا ، ومن وصاياه لكافة المسلمين : ^(١)

(مما لا شك فيه لدى عقل سليم أن الأمم لابد لها من موجه يوجهها ويدلها على طريق السداد ، وأمة الإسلام هى أخص الأمم بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والواجب يحتم على كل مسلم بقدر استطاعته وعلى حسب مقدرته أن يشمر عن ساعد الجذ فى النصح والتوجيه ؛ حتى تبرا ذمته ويبتدى به غيره ، قال تعالى :

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . [سورة الذاريات ، الآية ٥٥]

(١) راجع هذه الوصية وعدة وصايا أخرى : عبد العزيز بن عبد الله بن باز (فتاوى وتبليغات ونصائح) القاهرة ، مكتبة السنة . ط ٢ عام ١٤٠٩ هـ .

ولا ريب أن كل مؤمن - بل كل إنسان - في حاجة شديدة إلى التذكير بحق الله وحق عباده ، والترغيب في أداء ذلك ، وفي حاجة شديدة إلى التواصي بالصبر عليه ، وقد أخبر الله - سبحانه - في كتابه المبين عن صفة الراحين وأعمالهم الحميدة ، وعن صفة الخاسرين وأخلاقهم الذميمة ، وذلك في آيات كثيرات من القرآن الكريم ، وأجمعها ما ذكره الله - سبحانه - في سورة العصر ، حيث قال :

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (سورة العصر ١ - ٣) .

فأرشد عباده - عز وجل - في هذه السورة القصيرة العظيمة إلى أن أسباب الريح تنحصر في أربع صفات :

الأولى : الإيمان . والثانية : العمل الصالح . والثالثة : التواصي بالحق . والرابعة : التواصي بالصبر .

فمن كمل هذه المقامات الأربعة فاز بأعظم الريح ، واستحق من ربه الكرامة والفوز بالنعيم المقيم يوم القيامة ، ومن حاد عن هذه الصفات ولم يتخلق بها بآء بأعظم الخسران ، وصار إلى الجحيم دار الهوان ، وقد شرح الله - سبحانه - في كتابه الكريم صفات الراحين ونوعها وكررها في مواضع كثيرة من كتابه ؛ ليعرفها طالب النجاة فيتخلق بها ويدعو إليها ، وشرح صفات الخاسرين في آيات كثيرة ليعرفها المؤمن ويتبعد عنها ، ومن تدبر كتاب الله وأكثر من تلاوته عرف صفات الراحين وصفات الخاسرين على التفصيل ، كما قال - سبحانه - ذلك في آيات كثيرة منها ما تقدم ، ومنها قوله - جل وعلا - :

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (سورة الإسراء ، الآية ٩)

وقال تعالى :

﴿ كَتَبَ أَمْرُنَا إِلَيْكَ مِيزَانًا لِّتَبْرَأَ ءِإِيَّتِهِ وَلِتَذَكِّرَ ءُأُولَآءِ الْآلْبَابِ ﴾

(سورة ص ، الآية ٢٩)

وقال تعالى :

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾
(سورة الأنعام ، الآية ١٥٥)

وصح عن النبي ﷺ أنه قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

وقال ﷺ في خطبته في حجة الوداع على رؤوس من الأشهاد يوم عرفة :

« إني تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به ، كتاب الله » ، فبين الله سبحانه في هذه الآيات أنه أنزل القرآن ليتدبره العباد ويتذكروا به ويتبعوه ويهتدوا به إلى أسباب السعادة والعزة والنجاة في الدنيا والآخرة ، وأرشد الرسول ﷺ الأمة إلى تعلمه وتعليمه ، وبين أن خير الناس هم أهل القرآن الذين يتعلمون القرآن ويعلمونه غيرهم بالعمل به واتباعه والوقوف عند حدوده والحكم به والتحاكم إليه ، وأوضح - عليه الصلاة والسلام - للناس في المجمع العظيم يوم عرفة أنهم لن يضلوا ما داموا معتصمين بكتاب الله سائرين على تعاليمه ، ولما سار السلف الصالح والصدر الأول من هذه الأمة على تعاليم القرآن وسيرة الرسول ﷺ أعزهم الله ، ورفع شأنهم ، ومكن لهم في الأرض تحقيقاً لما وعدهم الله به في قوله - سبحانه - :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
كََمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾

(سورة النور ، الآية ٥٥)

وقال تعالى :

﴿ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

(سورة محمد ، الآية ٧)

وقال تعالى :

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ

فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿ (سورة الحج ، الآيتان : ٤٠ ، ٤١)

فيا معشر المسلمين : تدبروا كتاب ربكم ، وأكثروا من تلاوته ، وامثلوا ما فيه من الأوامر ، واجتنبوا ما فيه من النواهي ، واعرفوا الأخلاق والأعمال التي مدحها القرآن ، فسارعوا إليها وتحلقوا بها ، واعرفوا الأخلاق والأعمال التي ذمها القرآن وتوعد بها فاحذروها وابتعدوا عنها ، وتواصوا فيما بينكم بذلك وأصروا عليه حتى تلقوا ربكم ، وبذلك تستحقون الكرامة وتفوزون بالنجاة والسعادة والعزة في الدنيا والآخرة .

ومن أهم الواجبات على المسلمين العناية بسنة الرسول ﷺ والتفقه فيها والسير على ضوئها لأنها الوحي الثاني ، وهي المفسرة لكتاب الله ، والمرشدة إلى ما قد يخفى من معانيه ، كما قال الله - سبحانه - في كتابه الكريم :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴾
(سورة النحل ، الآية ٤٤)

وقال تعالى :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة النحل ، الآية ٨٩)

وقال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية ٢١)

وقال تعالى :

﴿ وَمَاءِ أَنْتُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (سورة الحشر ، الآية ٧)

وقال تعالى :

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
(سورة النور ، الآية ٦٣)

والآيات الدالة على وجوب اتباع الرسول ﷺ وتعظيم سنته والتمسك بها والتحذير من مخالفتها أو التهاون بها كثيرة جداً يعلمها من تدبر القرآن الكريم ، وتفقه فيما جاء عن الرسول ﷺ من الأحاديث الصحيحة ، ولاصلاح للعباد ولا سعادة ولا عزة ولا كرامة ولا نجاة في الدنيا والآخرة إلا باتباع القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ وتعظيمهما ، والتواصي بهما في جميع الأحوال ، والصبر على ذلك ، كما قال الله - عز وجل - :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾
(سورة الأنفال ، الآية ٢٤)

وقال تعالى :

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
(سورة النحل ، الآية ٩٧)

وقال تعالى :

﴿وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾
(سورة المنافقون ، الآية ٨)

فأرشد الله سبحانه العباد في هذه الآيات الكرييات إلى أن الحياة الطيبة والراحة والطمأنينة والعزة الكاملة إنما تحصل لمن استجاب لله ولرسوله واستقام على ذلك قولاً وعملاً ، وأما من أعرض عن كتاب الله وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام - واشتغل عنهما بغيرهما فإنه لا يزال في العذاب والشقاء والهموم والغموم والمعيشة الضنك ، وإن ملك الدنيا بأسرها ، ثم ينقل إلى ما هو أشد وأفظع وهو عذاب النار - عياداً بالله من

ذلك - كما قال تعالى :

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَذِبُونَ * فَلَا
تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِمَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَزْهَقَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾

(سورة التوبة ، الآيتان : ٥٤ ، ٥٥)

وقال تعالى :

﴿فَأَمَّا يَا نِدْنَكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هَدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى *
وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾

(سورة طه ، الآيتان : ١٢٣ ، ١٢٤)

وقال عز من قائل :

﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ﴾ (سورة السجدة ، الآية ٢١)
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾

(سورة الانفطار ، الآيتان ١٣ ، ١٤)

قال بعض المفسرين : إن هذه الآية تعم أحوال الأبرار والفجار في الدنيا والآخرة ،
فالمؤمن في نعيم في دنياه وقبره وآخرفته ، وإن أصابه في الدنيا ما أصابه من أنواع المصائب
كالقفر والمرض ونحوهما ، والفاجر في جحيم في دنياه وقبره وآخرفته ، وإن أدرك ما أدرك
من نعيم الدنيا ، وما ذاك إلا لأن النعيم في الحقيقة هو نعيم القلب وراحته وطمأنينته ،
فالمؤمن بإيمانه بالله واعتماده عليه واستغنائه به وقيامه بحقه وتصديقه بوعده : مطمئن
القلب ، منشرح الصدر ، مرتاح الضمير .

والفاجر - لمرض قلبه وجهله وشككه وإعراضه عن الله وتشعب قلبه في مطالب الدنيا

وشهواتها - فى عذاب وقلق وتعب دائم ، ولكن سكرة الهوى والشهوات تعمى القلوب عن التفكير فى ذلك والإحساس به ، فإمعنوا المسلمين : انتبهوا لما خلقتكم له من عبادة الله وطاعته ، وتفقهوا فى ذلك واستقيموا عليه حتى تلقوا ربكم - عز وجل - فتفوزوا بالنعيم المقيم ، وتسلموا من عذاب الجحيم .

وقال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾

(سورة فصلت ، الآيات : ٣٠ - ٣٢) وقال عز وجل :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(سورة الأحقاف ، الآيتان : ١٣ ، ١٤)

والله المستول أن يجعلنا وإياكم منهم ، وأن يعيدنا جميعاً من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ؛ إنه على كل شىء قدير . وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه .

٢- الوصية الشرعية :

وهى من الوصايا الفريدة للأستاذ محمد بن جميل زينو ، وهى من الوصايا الهامة لكل مسلم ، بل هى أهم وصية على الإطلاق ، وهى وصية شرعية ، أى أنها لازمة للحياة وللممات والآخرة ، ويجب على كل مسلم معرفتها ، والعمل بها حتى يؤجر عند الله ، ويكون قد اتبع تعاليم الإسلام .

إن الوصية الشرعية هى بمثابة إبراء الذمة للورثة ، فهى تجدد مختلف جوانب التركة

كما تحدد الثلث الذي تجوز به الوصية ، كما تُحدد ما يبرىء ذمته أمام الله تعالى ، ويجب أن يضعها المسلم تحت وسادته عند النوم .
وهذه الوصية الشرعية تقول ^(١) :

الوصية الشرعية لكل مسلم

قال ﷺ : « ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين وله شيء يُريد أن يُوصى فيه ، إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه » .

[متفق عليه]

قال ابن عمر : ما مرت على ليلة منذ سمعتُ رسول الله ﷺ قال ذلك ، إلا وعندي وصيتي :

١ - أوصى بمبلغ () يُنفق على الأقارب والجيران الفقراء والكتب الإسلامية ، (لا تزيد على الثلث ، ولا تكون لوارث) .

٢ - أن يحضرني في أثناء مرض الموت بعض الصالحين ؛ ليذكروني بحسن الظن بالله .

٣ - تلقيني كلمة التوحيد قبل الموت لا بعده ، لقوله ﷺ :

« لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » [رواه مسلم] .

وقوله ﷺ : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »

[حسن ، رواه الحاكم] .

٤ - أن يدعوني الحاضرون بعد الموت : اللهم اغفر له ، وارفع درجته وارحمه . . وهكذا من الدعوات المباركات الواردة .

٥ - إرسال أشخاص ليخبروا الأقارب وغيرهم بالوفاة ولو هاتفياً ، ولإمام المسجد أن يخبر المصلين ؛ ليستغفروا للميت .

(١) راجع محمد بن جميل زينو (مجموعة رسائل) مرجع سابق ، ص ٥١ - ٥٣ .

- ٦ - الإسراع بوفاء الدين لقوله ﷺ : « نفس المؤمن مُعلّقة بدَيْنِهِ حتى يُقضى عنه » .
[صحيح ، رواه أحمد]
- وعلى المسلم العاقل أن يوفى دينه في حياته خوفاً من الضياع والإهمال .
- ٧ - السكوت حال سير الجنازة ، وإكثار عدد المصلين وإخلاص الدعاء للميت .
- ٨ - الدعاء بالمغفرة بعد الدفن ، كان ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال :
« استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل » .
[صحيح ، رواه الحاكم]
- ٩ - التعزية للمصاب بما ورد عنه ﷺ : « إن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب » .
[رواه البخاري]
- وليس لها وقت ومكان محدد ، ويقول المصاب : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتى ، واخلف لى خيراً منها .
ويجب على أقارب الميت الصبر والرضا بقدر الله .
- ١٠ - على الأقارب والجيران والأصدقاء تهيئة الطعام لأهل الميت لقوله ﷺ :
« اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم ما يشغلهم » .
[حسن . رواه أبو داود ، والترمذى]
- الأُمُورُ الممنوعة شرعاً**
- ١ - تخصيص أحد الورثة بشيء من المال لقوله ﷺ : « لا وصية لوارث » .
[رواه الدارقطني ، وصححه الألباني في صحيح الجامع]
- ٢ - رفع الصوت بالبكاء ، والنياحة ، ولطم الخدود ، وشق الثياب ، ولبس السواد ،
لقوله ﷺ : « الميت يعذب في قبره بما نيح عليه » .
(إذا أوصاهم)
- [رواه البخاري ومسلم]

٣- الإعلان في المآذن والأوراق ، أو تقديم الأكاليل لأنها من البدع ، وفيها ضياع للمال وتشبه بغير المسلمين .

وفي الحديث الصحيح : « من تشبه بقوم فهو منهم »

[صحيح : رواه أبو داود] .

٤ - حضور المشايخ لقراءة القرآن في البيت لقوله ﷺ : « اقرأوا القرآن واعملوا به ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به » .

[صحيح : رواه أحمد]

(تستكثروا به من متاع الدنيا)

ويحرم على المعطى والآخذ ، ولو أعطينا المبلغ للفقراء لوصل ثوابه للميت وانتفع به .
٥ - يكره الطعام والاجتماع للتعزية في البيت والمسجد وغيره ؛ لقول جرير - رضى الله عنه - : « كنا نرى الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام بعد دفنه لغيرهم من النياحة » (أى المحرمة) .

[صحيح : رواه أحمد]

نص على كراهة الاجتماع الإمام الشافعى والنووى في كتابه الأذكار (باب التعزية)
ونص ابن عابدين الحنفى على كراهة الضيافة من أهل الميت ؛ لأنها شرعت في السرور لا في الشور ، وفي النزاهة (حنفى) : ويكره اتخاذ الطعام في اليوم الأول والثالث ، وبعد الأسبوع ، ونقل الطعام إلى القبر في الموسم ، واتخاذ الدعوة لقراءة القرآن ، وجمع الصلحاء والقراء للختم .

٦ - يحرم وضع الأحجار العالية وفرشة الحجر وغيرها على القبر ، وكذلك تدهينه والكتابة عليه : « نهى ﷺ أن يخصص القبر ، وأن يُبنى عليه » [رواه مسلم]

وفي رواية : « نهى أن يُكتب على القبر شيء »

[رواه الترمذى ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبى]

شاهد أول . شاهد ثان . اسم المنفذ للوصية . اسم الموصى أى (الميت) .

٣. وصايا عامة للمسلمين أثناء الحرب وللمحافظة على الأمن :

وهذه جملة من الوصايا الجامعة ، انطلاقاً من الكتاب والسنة النبوية للمسلمين في الحرب ، وكذلك للمحافظة على الأمن الداخلى فى الدول الإسلامية ، وهذه الوصايا هى ^(١) :

أ. وصايا عامة أثناء الحرب :

وعند اندلاع الحرب تتجلى لنا ناحية رائعة فى تعاليم الإسلام التى يفرضها على أتباعه ، والتى هى عماد النصر للشعوب الآخذة به ، قال الله تعالى :

﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿ [الأنفال : ٤٥ ، ٤٦] .

اشتملت هاتان الآيتان على خمس وصايا وهى :

أولاً : الثبات عند لقاء العدو وعدم الفرار من المعركة ، والنظام الحربى المعاصر يقضى بقتل الجندى الفار من القتال حال فراره ، وذلك خشية أن تنتقل عدوى فراره إلى غيره فتحدث البلبلة والجزع فى صفوف المقاتلين ، فيكون داعياً لهم على الهزيمة .

ثانياً : ذكر الله فى الحرب ، لما له من تأثير فعال فى النصر ؛ لأن الإيمان يمد المحارب بقوة معنوية هائلة تسند القوة المادية فتدعمها ويكون لها الحكم الفصل فى المعركة .

ثالثاً : الطاعة ، طاعة الله أولاً ، وذلك باتباع ما أمر به من الوصايا التى تنهض بحال المسلمين ، وعدم معصيته ، وطاعة الرسول فيما أمر به من شئون القتال ، فقد كان الرسول هو قائدهم فى أغلب المعارك التى خاضوها ضد الكفار ، وبعد وفاته أوجب عليهم طاعة قوادهم فى القتال : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

(١) راجع : عفيف عبدالفتاح طيارة (روح الدين الإسلامى) مرجع سابق ، ص ٤٠١ ، ٤٠٢ ، وص ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴿ [النساء : ٥٩]

فطاعة القائد العام هي عماد النظام الذي هو ركن من أركان النصر .

رابعاً : عدم التنازع ، فالتنازع في حال الحرب مدعاة للفشل وتغلب الأعداء على الفئة المتنازعة .

خامساً : الصبر على الشدة ، وما يلاقون من بأس العدو وكثرة عدده ، فإن الله مع الصابرين بالمعونة والتأييد . والصبر في الحرب من أعظم أسباب النصر .

ومن الوصايا التي وردت عن الرسول ﷺ : « الحرب خدعة » ففي هذه الوصية تحريض على أخذ الحذر في الحرب ، والندب إلى خداع الكفار . واليوم يعد هذا فناً من فنون الحرب يدرس في الكليات الحربية ، وأكبر معين للحصول على النصر .

ب - وصايا عامة للمحافظة على الأمن :

وفي القرآن والحديث وصايا عامة تتعلق بالمحافظة على الأمن ، من ذلك : ما ورد في القرآن بوجوب أداء الشهادة بالحق وعدم كتمانها ؛ لأن أكثر الجرائم يتوقف ثبوتها على وجود شهود لها ، ولذلك جاء في القرآن : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ دَخَلَ فِي قَلْبِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة ٢٨٣] .

كما أن شهادة الزور جعلتها الشريعة من أكبر كبائر المحرمات ، وقرنتها بالإشراك بالله ؛ عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ صلى صلاة الصبح ، فلما انصرف قائماً قال : « عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ، عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ، عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ، ثم قرأ تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ * حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرُ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾

[الحج : ٣٠ ، ٣١] .

وسنسرده بعض وصايا النبي ﷺ في المحافظة على الأمن والتي لها تعلق بالعقوبات التي ذكرناها : « لو يعطى للناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودماءهم ، لكن البينة على المدعى واليمين على من أنكر » . « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله

وعرضه . « كل أحد أحق بباله من ولده ووالده والناس أجمعين » . « لا ضرر ولا ضرار » . « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

٤- وصية لشباب الإسلام :

وهذه وصية كتبها الشيخ عبدالله بن جار الله الجار الله في كتابه (كلمات مختارة : عقائد ، أحكام ، مواعظ) ننشر بعضها للاستفادة والاستزادة وتعميم النفع والفائدة^(١):

« فيا شباب الإسلام ، ويا أمة القرآن ، ويا أتباع محمد ﷺ ويا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، ويا حماة الدين والعقيدة ، ويا أحفاد المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان : عليكم بتحقيق هذه الأمور لتفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة ، واغتنموا فرصة الشباب والصحة والحياة قبل زوالها فيما يسعدكم : في دراسة القرآن الكريم ودراسة تفسيره وتدبره والعمل به ليكون حجة لكم عند ربكم ، فالقرآن حجة لك أو عليك ، وفي دراسة الحديث الشريف والسيرة النبوية ، فلنا فيها عظة وعبرة ، ولنا فيها أسوة حسنة وفي الدعوة إلى الله - تعالى - عن علم وبصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [سورة يوسف ، الآية ١٠٨] فالشباب والصحة والحياة فرصة ثمينة تمر بسرعة ، فإن شغلت بخير وإلا شغلت بشر ولا بد ؛ والأوقات محدودة والأنفاس معدودة ، وسوف تسأل عن أوقاتك في أي شيء قضيتها ، فإن قضيتها في طاعة كانت لك مكسبا وإن قضيتها في معصية كانت عليك وبالا وخسرانا ، وإن قضيتها في غفلة تحسرت عليها في قبرك ويوم حشرك ، وقد قيل : الوقت كالسيف إن قطعتة فيما ينفعك وإلا قطعك فيما يضرك ، وفي الحديث : « اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل مرضك ، وحياتك قبل موتك ، وفراغك قبل شغلك ، وغناك قبل فقرك »

« رواه الحاكم والبيهقي »

(١) عبد الله الجار الله ، مرجع سابق ، ص ٢٠٥-٢٠٨ .

وقال ﷺ : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصبحة والفراغ » رواه البخارى ، يعنى أنهم مقصرون فى شكر هاتين النعمتين لا يقومون بواجبهما ، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون .

أخى المسلم : إن مهمتك فى هذه الحياة أن تتعلم العلم النافع الشرعى ، قال ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » رواه البخارى ومسلم ، ثم تعمل به وتدعو إليه وتصبر على ذلك ، وأن تخلص الله فى علمك وعملك ودعوتك وفى حبك وبغضك وفعلك وتركك ، فإن تكلمت فله ، وإن سكت فله ، وإن نظرت أو سمعت فله ، وإن مشيت فله ، وإن أحببت أو أبغضت فله ، وإن واليت أو عاديت فله .

وصدق الله العظيم إذ يقول : -

﴿ قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَذُكِّرْتُ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ
وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿ [الآيتان ١٦٢ - ١٦٣ الأنعام] ، اللهم وفقنا وجميع إخواننا المسلمين لما تحب وترضى إنك على كل شىء قدير .

٥- نصيحة ووصية عامة :

كتبها الشيخ صالح الخريص ، وقال فيها^(١) :

(الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد : فاعلموا - وفقنى الله وإياكم لسلوك صراطه المستقيم ، وجنبني وإياكم طرق أصحاب الجحيم - أن الله - تبارك وتعالى - أوجب طاعته وطاعة رسوله على كل أحد ، وفى كل زمان ومكان ، ونهى عن معصيته ومعصية رسوله ، قال الله - عز وجل - ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتَّبَعُوا مَا يَتَّبِعُونَ ﴾ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الآيتان : ٢٠ ، ٢١ من سورة الأنفال] فآلقوا السمع نحو هذا الخطاب العظيم والناموس الأكبر ، ولا تكونوا بمن قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ؛ فإنهم شر من خلق الله وذراً ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا ءَانِسْكُمْ

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٧ - ١١١ .

الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴿٥﴾

[الآية ٧ سورة الحشر] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ۚ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[الآية ٦٣ سورة النور] .

فأمر تعالى بهذه الآيات الكرييات بطاعته وطاعة رسوله ، ورتب على ذلك السعادة والفلاح في الدارين ، ونهى عن معصيته ومعصية رسوله ، ورتب على ذلك من العقوبات الدنيوية ما لا يعد ولا يحصى ، ولا يجد ولا يستقصى ، ولهذا ختم الآيتين الأوليين بذكر شدة عقابه لمن عصاه وعصى رسوله ، وختم الآيتين اللتين بعدهما بالوعيد لمن تولى عن طاعته وطاعة رسوله بالبعد والفتنة والعذاب الأليم .

فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم ترحمون ، وقوموا لله مثنى وفردى بقوة وثبات ، وليأخذ بعضكم على يد بعض حتى يرجع الأمر إلى نصابه ، ويكون على السداد والصواب لتفوزوا غدا بثوابه ، وتأمينوا من نقمته وعقابه ، وعلى سامع هذه الكلمة أن يلقى إليها السمع وهو شهيد ، وينظر بطرفه إلى الواقع حتى يتبين له أن ما قلته ليس فيه مجازفة ولا خروج عن الحالة التي نحن عليها ، وأن الهدف والمطلوب هو إصلاح حالتنا الراهنة ومعالجتها ما دام العلاج يفيد ، قبل أن يحال بيننا وبين ما نحاول ونريد ، والله المسئول المرجو الإجابة أن يصلح أئمتنا وعلماءنا وقضاتنا ، وأن يجعلهم لأهل الخير أئمة وقادة ، وأن يجعل لهم العمل بذلك سجية وعادة ، وأن ينصر دينه ويعلى كلمته ويحفظ إمام المسلمين وولى عهده ، وأن يجعلها من أئمة الدين وخلفاء سيد المرسلين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الثالث

وصية إسلامية خالدة :

اتقوا الله - عز وجل - واحذروا غضبه وانتقامه

وصية إسلامية خالدة
اتقوا الله
واحذروا غضب الله وانتقامه عز وجل

بقلم :
الفقيه إلى الله
د / إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

استهلال

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين النبي البشير النذير
سيدنا محمد ﷺ وبعد . . .

فإن هذه الوصية خالصة لله تعالى ، قالها كل المسلمين المؤمنين الصادقين ، بدءاً من
الرسول الأمين ، وحتى العبد الفقير ، وهى وصية وتذكرة ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين ،
يقول الله - عز وجل - فى محكم آيات الذكر الحكيم :

﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ ^(١) .

ويقول - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) .

والعالم حولنا يموج بصور من انتقام الله - عز وجل - وغضبه على انتهاك محارمه ،
وسخطه على البعد عن صراطه المستقيم ، وعذابه الدنيوى لمن لم يخف الوعيد ، إنها
آيات يعج بها عالم اليوم ، ولقد ذكرنا القرآن الكريم بهذه الآيات فلم نعتبر ، فلقد قال
الله - عز وجل - :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ ^(٣)

ويقول الحق - سبحانه وتعالى - :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ ^(٤) .

(١) الآية ٤٥ من سورة (ق) .

(٢) الآية ٥٥ من سورة الذاريات

(٣) الآية ٥٧ من سورة الكهف .

(٤) الآية ٢٢ من سورة السجدة .

وجاءت آيات انتقام الله - عز وجل - في العديد من المواضع في القرآن الكريم ، حين يضرب الله الأمثال للناس ، وحين يقص الله للإنسان أحسن القصص ، وحين يحكى لنا القرآن الكريم أنباء الأولين والآخرين ، وحين يقدم لنا الله آياته في خلقه وفي حياتهم وفي عذابهم في الدنيا والآخرة .

وها نحن نرى حولنا انتقام الله - عز وجل - وغضبه وسخطه على كل من عصى أمر ربه ، وعلى كل من انحرف عن الطريق القويم ، وعلى كل من تغاضى عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى كل من أحل ما حرم الله ، وعلى كل من حرم ما حلل الله ، وعلى كل من نسى آيات الله ونسى شكر الله على نعمه التي لا تحصى ولا تُعد . . .

ف نجد الزلازل تارة ، والطوفان تارة أخرى ، والاضطرابات السياسية والاجتماعية تارة ثالثة . . وفي الجانب الآخر نجد المجاعات تنتشر في أماكن كثيرة ، ونجد (الانتفاضات) الداخلية والهيجانات المحلية والتدمير ، ونجد الجفاف ينتشر وطوفان الجراد والحشرات والذباب والبعوض تنتشر في أنحاء متفرقة من عالمنا المعاصر ، ناهيك عن الأمراض الفتاكة التي تصيب المنحرفين من سرطان وإيدز وسُل ودرن وما شابه ذلك . . ومعها آلاف الآلاف من الآيات فهل نعتبر ؟؟؟!!! .

نسأل الله - عز وجل - أن يُبعد عنا غضبه ، ويبعدنا عن أماكن غضبه ، وأن يبارك لنا فيما أعطانا ، ونسأله - عز وجل - أن يجعلنا ممن يتقونه - سبحانه - ونسأله - جل في علاه - أن يعفو عنا :

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا .

وصلى الله وسلم على نبيه الكريم ﷺ .

أسباب الانتقام والغضب

خلقنا الله - عز وجل - لغرض نبيل ولهدف سام ، ومن أجل عمل جليل ، ألا وهو عبادة الله - عز وجل - قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١).

ولذلك فإن الغاية من خلق البشر هو عبادة الله - عز وجل - وإن أى انحراف عن هذه الغاية هو انحراف الخلق عن الخالق . .

ولذلك وعد الله - عز وجل - المتقين الملتزمين بعبادة الله حق عبادته جنات عدن، أما من ينحرف عن هذه الغاية فلقد فتح الله له أبواب رحمته حتى يتوب ، ولم لا ؟ قاله - عز شأنه - هو التواب الرحمن الرحيم ، فإذا لم يتب العبد فإن الله مُعَذِّبُهُ عَذَاباً شديداً ، وفي ذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٢).

بل وكرر الله - عز وجل - هذه الآية مرتين ، بنصها في سورة واحدة، وهو ما يدل على عظمتها وأهميتها ، فجاءت مرة أخرى في الآية ١١٦ من سورة النساء .

فإذا كانت هذه هي الغاية من خلق الإنسان ، وكان الله هو الإله رب العالمين التواب الرحيم ، فلم لا يكون الإنسان عبداً شكوراً ؟ ، وخصوصاً بعد أن ينعم الله عليه بنعمة هي من أعظم النعم : ألا وهي نعمة الإسلام ، وكفى بها نعمة .

ولذلك يعلنها الله - عز وجل - صريحة واضحة جلية : أن من يشكر الله على النعم ، ومن يعبد الله حق عبادته لا يمكن أن يكون مصيره مثل مصير المنحرف ، قال تعالى وهو أصدق القائلين :

﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ بَرْضَاؤُنَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٣).

إذن فالمقياس الأوحى لعذاب الله وغضبه وانتقامه هو ترمومتر عبادته - عز وجل - حق عبادته ، فعبادة الله - عز وجل - تجلب الخير والرخاء والتقدم ، والبُعد

(١) الآية ٥٦ من سورة الذاريات

(٢) الآية ٤٨ من سورة النساء .

(٣) الآية ١٦٢ سورة آل عمران .

عن الله - عز وجل - يجلب الدمار وانتقام الله في الدنيا والآخرة ، قال تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١).

سبحان الله ، فأهل القرى - بلفظ القرآن - تعنى جميع الناس : مسلمين وغير
مسلمين ، ولذلك الحق الحق - سبحانه وتعالى - لفظ (ولو) بلفظي (آمنوا واتقوا)
وبينهما أهل القرى ، وما أعظم الجزاء ، وما أسهل انتقام الله لمن لم يؤمن ويتقى .
ولكن كيف يأتيهم انتقام الله - عز وجل - وغضبه ؟؟ ..

تواصل الآيات البيّنات لتوضح أن انتقام الله - عز وجل - ليس له موعد ، وليس
له شكل واحد أو صورة معينة ، بل هو متعدد متنوع ، في أى وقت للظالمين ،
فيقول الحق في كتابه الكريم : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ
نَائِمُونَ ﴾ * أَوَلَمْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ *
﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٢).
إذن فإن بأس الله وانتقامه يأتي أهل القرى ، الذين يكذبون بآيات الله ولم
يأخذوا بأسباب العبادة (الإيمان - التقوى) ، يأتيهم في أى حين ، فمثلاً يأتيهم
بأس الله وانتقامه في :

١ - أثناء النوم : أى أثناء الغفلة عن ذكر الله ، ومعروف أن النوم راحة ، وقد
يقرر الله أن تكون هذه الراحة - التى يظنها أهل القرى - موعداً لانتقامه جل في
علاه .

٢ - أثناء اللعب : أى اللهو ، واللعب واللهو يميّتان القلوب الذاكرة لله - عز
وجل - العابدة للخالق ، فاللهو هو موعد مناسب لانتقام الخالق ، وحتى يبعثوا
يوم القيامة وهم يلعبون ، فتكون عاقبتهم أشد بالعذاب المقيم في جهنم وبئس
المصير .

(١) الآية ٩٦ من سورة الأعراف .

(٢) الآيات ٩٧ - ٩٩ من سورة الأعراف .

ففى لحظات الغفلة أو اللهو يأتى انتقام الله للذين لم يؤمنوا ولم يتقوا ، ولكن متى يكون هذا اللهو وهذا اللعب وهذه الغفلة ؟؟

إن الغفلة حقاً بالليل والناس نائمون ...

وإن اللهو ضحى والناس يلعبون ...

وسبحان الله !! ولكن ، لابد من البعد عن مسببات انتقام الله ، مسببات عذاب الله وبأسه ، وهى الغفلة واللهو . والبعد عن ذلك يكون بالإيمان والتقوى .

فعذاب الله ليس له موعد فى الدنيا ، أما فى الآخرة فهو عذاب دائم فى النار، أما فى الدنيا فعذاب الله يأتى فى وقت يحدده الله - عز وجل - ليحد من بطش المجرمين ، يقول الله - عز وجل - فى محكم التنزيل :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (١)

إذا ، فعذاب الله يأتى بالليل والنهار ، فى كل وقت وحين ؛ لأن انتقامه - عز وجل - شديد .

وإذا كان عذاب الله شديداً ، فإن رحمته وسعت كل شيء ، فهو التواب الرحيم ، ولذلك يقول الحق : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ (٢) .

إذن فعذاب الله ليس غاية ، بل هو وسيلة انتقام وغضب للمولى - عز وجل - من الكافرين ، وغير المتقين وغير الشاكرين ، فهاذا يفعل الله بعذاب الناس إن آمنوا وشكروا ؟ ، حقا ، فالله - عز وجل - لا ينتقم إلا من الكافرين وغير المؤمنين وغير المتقين وغير الشاكرين .

ولذلك ، فالله لا يعذب الناس إلا بعد أن يرسل لهم النذير ، نعم لابد أن يرسل إليهم الرسل أولاً ، يقول الحق :

(١) الآية ٥٠ من سورة يونس

(٢) الآية ١٤٧ من سورة النساء

﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ
وَزْرًا أُخْرَىٰ ۖ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (١) .

فالرسول إذن هو النذير ، حتى لا يكون هناك حجة للبشر بعدم المعرفة .
ومن لم يسمع كلام الرسول فإنه من المجرمين ، والله ينتقم أيضا من المجرمين ،
قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرْتُ أَيْتٌ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ
مُنْقِمُونَ ﴾ (٢) .

وإذا كان الإجرام صورة من صور الشرك بالله أو عدم التقوى ومسببا لعذاب الله
وانتقامه ، فإن هناك صوراً أخرى من عدم الإيمان ومن عدم التقوى ومن عدم
شكر النعم . ونستعرضها سريعا :

١- الظلم :

والظلم أنواع : منه ظلم الإنسان لنفسه ، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان ،
وظلم الآيات والدين ، والظلم يؤدي إلى ظلمات يوم القيامة ، ولكن له عذاب في
الدنيا أيضا ، يقول المولى - عز وجل - :

﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ ۖ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ﴾ (٣)

وعكس الظلم العدل ، وهو أقرب للتقوى ، فيقول الحق :

﴿ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ ﴾ (٤) .

(١) الآية ١٥ من سورة الإسراء .

(٢) الآية ٢٢ من سورة السجدة .

(٣) الآية ٨٧ من سورة الكهف .

(٤) الآية ٨ من سورة المائدة .

٢- التولى عن آيات الله وعبادته :

فنعمة عبادة الله لا تعادلها نعمة ، ومن يتول عنها يُعذب الله عذابا شديدا في الدنيا والآخرة ، وفي هذا يعلن الحق - تبارك وتعالى - :

﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ ^ط وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ^(١) .

وهناك العديد من الآيات التي تتحدث عن ذلك ، ومنها :

﴿ فَلَمَّا بَجَحْتُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ^(٢) .

﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَّ بِجَانِبِهِ ^(٣) .

﴿ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَقَالُوا يَتَّيْنُهُ السَّاحِرُ أَدْعُنَا رَبِّكَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ^(٤) .

٣- النفاق :

والنفاق ليس بعده ذنب إلا الكفر ، ولذلك يُعذب الله المنافقين في الدنيا والآخرة ، بل يُعذبهم الله مرتين في الدنيا جزاء بما عملوا ، فيقول - عز من قائل - :

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ^(٥) .

(١) الآية ٧٤ من سورة التوبة .

(٢) الآية ٦٧ من سورة الإسراء .

(٣) الآية ٥١ من سورة فصلت .

(٤) الآيات ٤٨ - ٥٠ من سورة الزخرف .

(٥) الآية ١٠١ من سورة التوبة .

٤- الكذب :

والكذب مضاد للصدق ، فإذا كان الصدق منجياً من المهالك ، فإن الكذب مؤذٍ إليها ، ولذلك كانت عاقبة الكذب والمكذبين أليمة في الدنيا وأليمة في الآخرة ، قال المولى - عز وجل - :

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ ^(١) .

بل وصف الله الحق المكذبين بنفس أوصاف المجرمين في آيتين من سورتي النحل والنمل ، حين يقول الحق - سبحانه وتعالى - :

﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ ^(٢) .

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ^(٣) .

وحقا وصدقا : قال الله - جل في علاه - :

﴿ إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٤) .

كانت تلك أهم (وليست كل) أسباب ومسيبات انتقام الله في الحياة الدنيا من بنى آدم من البشر . ويجب علينا تجنب هذه الأسباب لنفوز برضا الواحد الأحد الفرد الصمد الجبار التواب الرحيم ذى الجلال والإكرام .

ولتر في الصفحات القادمة بعضا من صور انتقام الله - عز وجل - في الحياة الدنيا من المجرمين الكافرين والظالمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !!

(١) الآية ١١ من سورة الأنعام .

(٢) من الآية ٣٦ من سورة النحل .

(٣) الآية ٦٩ من سورة النمل .

(٤) الآية ١٦٠ من سورة آل عمران .

صور انتقام الله عز وجل وغضبه على المكذبين لرسله وعذابه لهم في الحياة الدنيا

هناك آيات عديدة تدل على انتقام الله - عز وجل - من المكذبين لأياته والمكذبين لرسله وأنبيائه ؛ ولذلك كان انتقام الله - سبحانه وتعالى - من هؤلاء المكذبين لرسله شديدا وبأنواع شتى من عذاب الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب أليم . فإذا كان إرسال الرسل والأنبياء هداية البشر الذين ضلوا عن الطريق المستقيم - طريق الحق - ولجأوا إلى عبادة أصناف عديدة من الأصنام والأوثان والأزلام ، وابتعدوا عن عبادة الله الواحد الأحد ، فإن الرسل والأنبياء هم النذُر ، وهم الهداية الإلهية للبشر .

فلقد كان انتقام الله - عز وجل - من هؤلاء الذين لم يهتدوا بالأنبياء والرسل شديدا وعنيفا ومتنوعا ، حسب الزمان والمكان والعبرة التي يقصدها الحق للناس من هذا العذاب وذلك الغضب والانتقام .

وسوف نتعرض لبعض هذه الصور من انتقام الله - عز وجل - وغضبه على هؤلاء الكافرين والمكذبين والضالين :

أولا : انتقام الله - عز وجل - من قوم نوح بالطوفان :

لقد أرسل الله سيدنا نوحًا - عليه السلام - لما عُبدت الأصنام والطواغيت ، وانهك الناس في الضلالة والكفر ، فبعثه الله - عز وجل - رحمة للعباد ، فكان أول رسول بُعث في الأرض وبعث إلى أهل الأرض بعد آدم - عليه السلام - وظل نوح - عليه السلام - يدعو قومه ٩٥٠ عام للإيمان بالله تعالى ، فكذب قومه ، فانتقم الله - عز وجل -

وجل - منهم ، وأمر عبده نوحا بأن يصنع الفلك ، وأنزل من السماء ماء وفجر
ينابيع من الأرض ، ليعرق الكافرين والمكذبين والمجرمين .

وفى ذلك آيات عديدة فى القرآن الكريم تحكى قصة انتقام الله - عز وجل - من
قوم نوح - عليه السلام - ومن هذه الآيات قول الحق - سبحانه وتعالى - (١) :

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي
مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى
الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدِيدٍ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوُجْهِ وَدُسِرَ * تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ
كُفْرًا * وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ .

وقال - عز وجل - أيضا فى ذلك :

﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ
أُثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَاءٌ آمِنٌ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ *
وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرُنَهَا وَفَرَسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرَى
بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِىْ أَرَكَبَ
مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَوِّىْ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ
لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ
الْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَتَاَرْضُ أَبْلى مَاءُكِ وَيَسْمَاءُ أَقْلَى وَغِيصَ الْمَاءُ وَفُضِيَ

(١) الآيات ٩ - ١٧ من سورة القمر .

(٢) الآيات ١١٩ - ١٢١ من سورة الشعراء .

الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ .

وليس أدل على قوة انتقام الله - عز وجل - من إبادة الناس كلهم إلا من آمن بنوح - عليه السلام - وما آمن معه إلا قليل ، بل كان مع المهلكين زوجة نوح وولده !!
ثانيا : انتقام الله - عز وجل - من قوم عاد :

وسبب الانتقام أن قوم عاد عادوا بعد الطوفان لعبادة الأصنام ، وكانوا يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخمة ، فأرسل الله إليهم سيدنا هوداً عليه السلام . . فلم يستجيبوا له ، بل كذبوه ، فانتقم الله من قوم عاد بوسيلة أخرى هي : (الريح الصرصر العاتية) .

وفي ذلك يقول الحق في كتابه الكريم : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلْنَا بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * آلَتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ ﴾ (٢) .

وقال الحق : ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ * فَاَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) ،
وقال الحق ﴿ فَاَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ اَشَدُّ مَنَاقِبَةً * اَوْ لَمْ يَرَوْا اَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ اَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيْ اَيَّامٍ مَّحْسُوبَةٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ اَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (٤) .

وقال الله - عز وجل - فيهم أيضا : ﴿ وَفِي عَادٍ اِذَا ارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ اَنْتَ عَلَيْهِ اِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ (٥) .

(١) الآيات ٣٩ - ٤٤ من سورة هود .

(٢) الآيات ٦ - ٨ من سورة الفجر .

(٣) الآيات ٣٩ - ٤١ من سورة المؤمنون .

(٤) الأيتان ١٥ ، ١٦ من سورة فصلت .

(٥) الأيتان ٤١ ، ٤٢ من سورة الذاريات .

وقال الله - عز وجل - : ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَاهْتَكُوا بَرِيحَ صَرْصَرٍ عَلَيْهِ *
سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ
أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝ (١) .

وسبحان الله في انتقامه الفظيع من الكافرين والمشركين والمكذبين غير المتقين !! .

ثالثاً : انتقام الله من قوم ثمود بالصيحة والتدمير :

و ثمود هم قوم سيدنا صالح - عليه السلام - والذي أرسله الله - عز وجل - لقومه
يدعوهم لعبادة الله ، وأن يخلعوا الأصنام والأنداد ، ولا يشركوا بالله شيئاً ، فأمنت
برسالة صالح طائفة ، ولكن كفر أغلب ثمود ، وهما بقتله - عليه السلام - بل
وقتلوا آية الله : ناقة الله التي جعلها الله حجة عليهم ، فانقم الله منهم أشد
الانتقام ، ويُحدِثنا القرآن الكريم عن هذا الانتقام في مواضع عديدة ، ولكن نركز منها
على آية انتقام الله منهم فقط :

فقال تعالى :

﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أثنينا بما تعدنا
إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَأَمْسَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِمِينَ
فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنقُومُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ
لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ ۝ (٢) . وقال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا
بَنَجْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ
جَثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا آلَا إِنَّا ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ۝ (٣) .

(١) الآيات ٦ - ٨ من سورة الحاقة

(٢) الآيات ٧٧ - ٧٩ من سورة الأعراف .

(٣) الآيات ٦٦ - ٦٨ من سورة هود

وقال المولى - عز وجل - : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ * وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿ (١) أى أن أهم شرطين فى النجاة من هذا العذاب : الإيمان والتقوى .
وقال الله الحق : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخَضَّبِ ﴾ (٢) .
وقال المولى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ يَذِيقُهُمْ فَسُوْنَهَا ﴾ * وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا ﴿ (٣) .

ونلاحظ هنا ، وفى آيات أخرى لقوم هود ولوط وموسى وغيرهم - عليهم السلام - أن الله نجى الذين آمنوا بالله واثقوا الله ، ونجاهم من عذابه الشديد وانتقامه المفزع ، وسبحان الله العظيم !! .

رابعا : انتقام الله من النمرود :

والنمرود ملك أيام سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ولكنه كفر بأنعم الله ، بل واعتقد أنه إله ورب للناس ، وحاجه إبراهيم - عليه السلام - فأفحمه ، وفى ذلك يقول الحق :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِ بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤) .

وأرسل الله ملكاً يدعو النمرود للإيمان بالله ، فأبى عليه ذلك ، ثم دعاه الثانية فأبى عليه ذلك ، ثم دعاه للمرة الثالثة فرفض النمرود الإيمان ، وقال النمرود : اجمع

(١) الأيتان ١٧ ، ١٨ من سورة فصلت .

(٢) الآية ٣١ من سورة القمر

(٣) الأيتان ١٤ ، ١٥ من سورة الشمس .

(٤) الآية ٢٥٨ من سورة البقرة .

جموعك وأنا أجمع جموعى ولنر من ينتصر، وجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس ، فأرسل الله عليه جيوشا (من البعوض) بحيث لم ير النمرود وجيشه الشمس من كثافة هذا الذباب ، وسلط الله عليهم هذا الذباب ، فأكلت لحومهم ومصت دماءهم ، وتركتهم عظاماً بادية ، ودخلت واحدة منها فى أنف الملك ، فمكثت فى أنفه أربعائة سنة عذابا من الله - عز وجل - فكان لا يستريح حتى تضرب رأسه بالنعال حتى تنفجر منها الدماء ، وظل يُعذب بكفره وغروره فى الدنيا حتى أهلكه الله تعالى وبش المنقلب والمصير ^(١) .

خامساً : انتقام الله بحجارة من سجيل منضود من قوم لوط :

ولقد انتقم الله - عز وجل - من قوم لوط (ابن أخ سيدنا إبراهيم) - عليها السلام - نتيجة قيامهم بارتكاب الفواحش والمنكرات وممارسة اللواط ، وهو فاحشة وساء سبيلاً ، وعندما أرسل الله - عز وجل - سيدنا لوطا - عليه السلام - لم يستجيبوا له واستمروا على غيهم وعتوهم ، فكان الانتقام فظيماً لانتهاك محارم الله .

فقال الله تعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرَكَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ^(٢) وقال الحق - سبحانه وتعالى - : ﴿ قَالُوا يَنْلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَأَتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ * فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰ هَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ^(٣) .

(١) راجع : ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص : ١٨٥ ، طبعة دار اليقين بالمصورة ، مصر .

(٢) الأيتان ٨٣ ، ٨٤ من سورة الأعراف .

(٣) الأيتان ٨١ - ٨٣ من سورة هود .

وقال الله أيضًا : ﴿ فَأَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمُ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾ (١) .

وقال الحق - جل في علاه - : ﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢) .

وقال الله - عز وجل - : ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .

سادسا : انتقام الله عز وجل من قوم مدين بالرجفة :

وأهل مدين كانوا كفارا يقطعون السبيل ويخيفون المارة ويعبدون شجرة تُسمى (الأيكة) وكانوا من أسوأ الناس معاملة ، يخسئون المكبال والميزان ويطفون فيها ، فبعث الله فيهم رجلاً منهم وهو رسول الله (شعيب) عليه السلام ، فدعاهم إلى عبادة الله ونهاهم عن هذه الأفعال القبيحة وإخافتهم الناس وقطع الطرق عليهم وسلب أموالهم بغير حق ، فآمن بعضهم وكفر أكثرهم ، حتى أحل الله بهم البأس الشديد . وفي ذلك يقول الحق - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا الْخَاسِرُونَ فَأَخَذْتُهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ * فَنَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَ قَوْمُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي رَئِي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأَ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (٤) .

(١) الأيتان ٧٤ ، ٧٥ من سورة الحجر .

(٢) الأيتان ٣٤ ، ٣٥ من سورة العنكبوت .

(٣) الآيات ٣١-٣٥ من سورة الذاريات .

(٤) الآيات ٩٠-٩٣ من سورة الأعراف .

وقال الحق أيضا : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئَرِهِمْ جَثِيمِينَ ﴾ * كَان لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الْآبَعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ ﴿ (١) .

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ (٢) .

وانتقام الله - عز وجل - من أهل مدين كان شديداً ، ويدل على أهمية سلوك الناس ، وانتقام الله - عز وجل - ممن ينتهك محارمه ويكفر بنعم الله .

سابعاً : تدمير أصحاب الرس وقوم ياسين انتقاماً من الله لقتلهم الأنبياء بغير حق :

فلقد سحق الله بانتقامه وغضبه أصحاب الرس ، نظرا لقيامهم بأفعال الكفر والفسوق والعصيان .

فقال الله - عز وجل - : ﴿ وَعَادًا وَثُمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ * وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرَّأْنَا تَتْبِيرًا ﴿ (٣) .

وقال الحق - عز وجل - : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ ﴿ (٤) .

ثامناً : انتقام الله - عز وجل - من فرعون وإهلاكه هو وجنوده :

وفرعون طغى في الأرض ، بل قال أنا ربكم الأعلى ، فأرسل الله - عز وجل - إليه سيدنا موسى بشيراً ونذيراً ، ولكنه كذب برسالته وظل في طغيانه وكبريائه ، فأهلكه الله - عز وجل - هو وجنوده في البحر غرقاً .

(١) الأيتان ٩٤ ، ٩٥ من سورة هود .

(٢) الأيتان ١٨٩ - ١٩٠ من سورة الشعراء .

(٣) الأيتان ٣٨ ، ٣٩ من سورة الفرقان .

(٤) الأيتان ٢٨ ، ٢٩ من سورة يس .

وكان عذاب الله لفرعون ، وانتقامه منه في الحياة الدنيا بسبب الكفر ، وبسبب قتله أبناء الذين آمنوا مع سيدنا موسى - عليه السلام - واستحياء نسائهم ، ورغم كل ذلك كان سيدنا موسى - عليه السلام - مؤمناً بانتقام الله - عز وجل - من فرعون وجنوده .

فقال المولى - عز وجل - :

﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ
الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ * قَالُوا أَوَإِذَا
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ
عُدْوَكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿ ١١ ﴾ .

ولما أراد فرعون القضاء على بنى إسرائيل الذين آمنوا برسالة موسى - عليه السلام - خرج اليهود بأمر الله من مصر ، فتعقبهم فرعون وجنوده ، حتى وصل اليهود بقيادة موسى - عليه السلام - إلى البحر ، فأوحى الله - عز وجل - لرسوله أن :
اضرب بعصاك البحر ، فانقسم إلى فرقتين كالطود العظيم ، فعبث الذين آمنوا وتعقبهم فرعون ، فانطبق عليه وعلى جنوده البحر فغرقوا أجمعين .

ويحكى لنا الحق - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز هذه القصة ، فيقول :
﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴾ (٢) .
وقال - سبحانه - : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ
* فَلَمَّا آسَفُونَا انْنَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ
سَلَفاً وَمَثَلاً لِّلْآخِرِينَ ﴾ (٣) .

(١) الآيات ١٢٨ ، ١٢٩ من سورة الأعراف

(٢) الآية ١٠٣ من سورة الإسراء .

(٣) الآيات ٥٤ - ٥٦ من سورة الزخرف .

وقال - عز وجل - : ﴿ فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (١) .

وقال - جل في علاه - : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ * وَأَزَلَّانَا مِنَ الْآخِرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴾ (٢) .

وقال المولى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾ * فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَاءٌ غَاشِيَهُمْ * وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴾ (٣) .

تاسعا : صور من انتقام الله عز وجل من بنى إسرائيل على بغيهم وظلمهم :
ورغم النعم العديدة والآيات الفريدة والنجاة من فرعون وقومه - والتي منحها الله عز وجل لبني إسرائيل - فلقد نجاهم الله ولم يشكروه حق شكره - سبحانه وتعالى - بل عندما أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا لرسولهم ونبيهم : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، وكذلك أورثهم الله الأرض مشارفها ومغارها ونعمها ، ولكن لم يحمدا الله ولم يشكروه ، وكانت لهم عدة مواقف تدل على كفرهم بربهم وكفرهم بأنعم الله ، فحق عذاب الله وانتقامه منهم وغضبه عليهم . وصور انتقام الله - عز وجل - من بنى إسرائيل نجدها واضحة جلية في القرآن الكريم .

ولتتابع صورا من هذا العذاب وهذا الانتقام :

فالصورة الأولى : قال الحق - عز وجل - : ﴿ وَجَنُوزًا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ

(١) الآية ١٣٦ من سورة الأعراف .

(٢) الآيات ٦٣ - ٦٦ من سورة الشعراء .

(٣) الآيات ٧٧ - ٧٩ من سورة طه .

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَرِّمَاهُمْ فِيهِ وَيَطْلُبُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *
 قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْيَعِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ .
 وقال عز من قائل : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ
 لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ * فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ
 سَيِّئَةٌ يَطَّيَرُوا وَمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا يَطَّيَرُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴾ * وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا تَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ
 * فَآرَسْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَاءَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ
 فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٢﴾ .

ورغم أن هذه الآية في آل فرعون ، إلا أن بنى إسرائيل مشتركون معهم في العذاب
 لظلمهم ، وهذا صنف من العذاب المتعدد والمتنوع ، بل صور متعددة من عذاب
 الله وانتقامه .

ثم يتناول القرآن الكريم صنفاً آخر من عذاب بنى إسرائيل ، وهو النية ، أى
 يسبّرون في الأرض إلى غير مقصد ليلاً ونهاراً ، وصباحاً ومساءً ، وهو صنف جديد
 من انتقام الله - عز وجل - وجاء في بنى إسرائيل فقط ، ولا تنصور - أيها المسلم -
 قسوة هذا العذاب وهذا الانتقام من الله - عز وجل - عندما تسير على غير هدى ليس
 يوماً أو يومين بل أربعين سنة ، فبئس هذا العذاب ، اللهم ارحمنا منه .

وفي ذلك يقول الحق وهو أصدق القائلين :
 ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقْوِمُوا ذِكْرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ
 فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ * يُقْوِمُوا
 أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ آدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا

(١) الآيات ١٣٨ - ١٤٠ من سورة الأعراف .

(٢) الآيات ١٣٠ - ١٣٣ من سورة الأعراف .

خَسِرِينَ * قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذُرُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِنَّا لَنَنذُرُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾

وهذه الآيات تضم هذا الصنف من صنوف عذاب الله - عز وجل - بجانب وصف بنى إسرائيل بأنهم كانوا قوما فاسقين ، فكان الانتقام رهيباً وجديداً على البشر .

ثم كان انتقام الله من بنى إسرائيل بأمرهم بقتل أنفسهم بأيديهم ، وبالصاعقة ، وما أنقطع هذا الانتقام !! ولكن وصفهم القرآن في هذا الموضع بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم :

وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى - ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ * ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ

(١) الآيات ٢٠-٢٦ من سورة المائدة .

الرَّجِيمُ * وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَقٌّ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تُنْظَرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١﴾ .

ثم نجد صنفاً آخر من انتقام الله - عز وجل - من بنى إسرائيل ، وهو تقرير الذلة والمسكنة وغضب الله تعالى عليهم ، وهو من أعظم أنواع العذاب وانتقام الله أن يغضب على قوم ، فلا ينظر إليهم يوم القيامة ، ويعذبهم بالذلة والمسكنة في الحياة الدنيا .

وفي هذا الصنف من عذاب الله وانتقامه من بنى إسرائيل ، يقول الحق :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاجِدٍ فَادْعِ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْآلِذَ هُوَ أَذَىٰ بِاللَّذَىٰ هُوَ خَيْرٌ أَمِيطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَصُرِيتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبِعَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٢﴾ .

وأخيراً نصل إلى صورة أخرى من انتقام الله - عز وجل - من اليهود ، وهم قوم سيدنا موسى ، ألا وهو انتقام الله من عبدة المال ، والمال جعل سبباً للسعادة ، فما بالنا والله يجعله منقلباً بتعاسة غامرة شديدة !! والانتقام في المال كان بصورة شنيعة وليست متدرجة ، وكان بالخسف ، خسف المال وخسف الأرض وخسف الثروة .

وفي ذلك فلتتذكر قصة قارون التي ذكرها الله في كتابه العظيم ، وذكرها

(١) الآيات ٥١ - ٥٧ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٦١ من سورة البقرة .

واضحة مفسرة مفصلة ، فقال الله - عز وجل - :

﴿ إِن قَرُونَكُمْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآيَيْنَاهُ مِنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ
لَتَشْنُوْنَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ
* وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا
وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ
مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ
الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
يَلْبِثْ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ وَلَيْسَ بِكُمْ ثَوَابٌ اللَّهُ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا
الضَّالُّونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ فَتْنَةٍ بَصُرُونَهُ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنْ الْمُتَصَرِّينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ
بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ
لَوْ لَا أَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ
الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

فإذا كانت تلك القصة لعاقبة قارون ، فلقد أكد القرآن الكريم أن العقاب كان
شديدا رهيبا نتيجة الظلم وعدم شكر أنعم الله والفساد في الأرض بهذا المال ، قال
تعالى : ﴿ وَقَرُونُ وَفِرْعَوْنُ وَهَمْنُكُمْ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ

(١) الآيات ٧٦ - ٨٣ من سورة القصص .

فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ * فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ
مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا
بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١﴾ .

وسبحان الله - جل جلاله وعظم سلطانه ووسعت قدرته وتجلت عظمته - مالك
الكون العظيم ، خالقه ومحييه ومميتة ، إنه الحى القيوم ، ولذلك فانتقامه شديد
وعذابه أليم وغضبه صاعق للسموات والأرض . .

وشاهدنا صوراً من هذا الانتقام والعذاب فى الدنيا لمن لم يصدق رسل الله
وأنبياؤه ، فحق عليهم سخط الله - عز وجل - وما أدراك ما سخط الله ، إنه عذاب
من كل لون ، فى كل آن وحين ، ولنر آيات أخرى لا انتقام الله وعذابه فى الدنيا .

(١) الأيتان ٣٩ ، ٤٠ من سورة العنكبوت .

صور أخرى لا انتقام وعذاب الله تعالى في الدنيا

ونحن أمام صور وآيات ومشاهد انتقام الله - عز وجل - من المكذبين والمجرمين ،
والتي رأينا بعض صورها ، فيما سبق ، وسنرى هنا بعضا من الآيات والصور لعذاب
الله وانتقامه من المجرمين والظالمين والمكذبين والكذابين والتي ذكرها الله - عز وجل -
في أمثال القرآن الكريم ، وفي قصصه الذي هو أحسن القصص :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ
كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (١)

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضِرُ بِهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

ولذلك سنستعرض هنا في إيجاز بعضا من تلك الصور :

١. انتقام الله - عز وجل - لحرمة بيته المحرم :

وذلك في قصة أصحاب الفيل ، عندما أراد أبرهة ملك اليمن هدم بيت الله
الحرام ، وذلك ليتحول العرب إلى الحج في كنيسته التي أقامها في اليمن ، وجاء بجيش
جرار ، وعلى رأسه الفيل ، وعسكر على مشارف مكة المكرمة ، فأرسل الله انتقامه
على هذا الجيش فأباده ، وحى بيته الحرام من المجرمين الظالمين .

(١) الآية ٣ من سورة يوسف .

(٢) الآية ٢١ من سورة الحشر .

وفي ذلك يقول القرآن الكريم : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ (١) .

٢- انتقام الله تعالى بتدمير سد مأرب :

وذلك نتيجة للإعراض عن ذكر الله ، وكفر أهل مأرب بآيات الله ونعمه ، ولذلك أرسل عليهم سيل العرم ، فدمر سد مأرب الشهير ، وأصبحت أرضهم الخصبه أرضا غير مباركة ، ومن يومها لم يستطيعوا بناء سد في هذه المنطقة ، وتلك آية أخرى لانتقام الله - عز وجل - :

وفي ذلك يحدثنا الله في كتابه الكريم فيقول - عز وجل - : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّؤَامِنٍ رِّزْقٍ رَّبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ ﴾ (٢) .

٣- انتقام الله - عز وجل - لعدم شكر النعم :

فشكر النعم التي منحنا الله إياها واجب علينا ، وعدم شكر هذه النعم يؤدي إلى غضب الله علينا ، وبالتالي انتقامه منا وعذابه لنا .

والنعم التي أنعم الله علينا نعم لا تعد ولا تحصى ، ولو بوسائل العلم والتقنية الحديثة من كمبيوتر وخلافه ، إنها نعم باطنة وظاهرة ، ولا يعلمها سوى الله - عز وجل - . ولنر هنا - وفي هذا المقام - بعض الأمثلة الطفيفة فقط للعبارة :

(١) الآيات ١-٥ من سورة الفيل .

(٢) الآيات ١٥-١٧ من سورة سبأ .

أ. نعمة الأمن :

وعدم شكر هذه النعمة يؤدي إلى الخوف والهلع وعدم الاستقرار ، وفي ذلك يمن الله - عز وجل - على قريش هذه النعمة الكبيرة ، ويطلب منهم مقابل ذلك عبادة الله الواحد الأحد ، وفي ذلك يقول - عز وجل - : ﴿لَا يَلْفُ قَرِيشٌ * إِلَّا لِفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (١) .

وفي قصة أخرى لعدم شكر نعمة الأمن هذه ، يحدثنا القرآن الكريم عن قصة القرى الآمنة التي دعت الله بأن يباعد بين أسفارهم ، ولم يشكروا نعمة الأمن فمزقهم الله :

وفي ذلك يقول الحق - سبحانه وتعالى - : ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَزْقٍ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٢)

ب. نعمة ذكر الله :

حقا ، فما أجملها من نعمة ، وما أعظمها من نعمة ، فبذكر الله تطمئن القلوب ، ولكن من أعرض عن ذكر الله ، فله عقاب وانتقام دنيوى فظيع لم يره قبل ذلك ، وهو الفقر والضعف .

وفي ذلك يقول الحق : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (٣) .

(١) الآيات ١-٤ من سورة قريش .

(٢) الأيتان ١٨ ، ١٩ من سورة سبا .

(٣) الآية ١٢٤ من سورة طه .

ج- الذلة والمسكنة لمن لا يشكر أنعم الله :

وهذه آلام أخرى لعدم شكر أنعم الله الظاهرة ، والذلة والمسكنة تجعل الإنسان ذليلاً أشبه بالحيوانات .

قال المولى - عز وجل -

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَنْ مَاتُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ﴾ (١) .

وكذلك يقول الحق في كتابه الكريم ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُ وَبِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ﴾ (٢) .

د- وباء الجوع والخوف :

وأنزل الله هذا العقاب على الكافرين بأنعم الله ، وفي ذلك يقول الحق في آياته البينات : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣) .

هـ- الكفر ليس له عاقبة إلا العذاب في الدنيا والآخرة :

وفي ذلك يقول الحق - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهَا وَلَئِنَّا مُرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ (٤) .

(١) الآية ١١٢ من سورة آل عمران .

(٢) من الآية ٦١ من سورة البقرة .

(٣) الآية ١١٢ من سورة النحل .

(٤) الأيتان ٢٣ ، ٢٤ من سورة لقمان .

أى أن متاع الحياة الدنيا قد يكون من غضب الله تعالى ، وليس دائما دليلا على حب الله للإنسان .

و- الأولاد والأموال قد تكون نقمة للمنافقين :

ولقد حدثنا الله - عز وجل - في كتابه الكريم عن عدة أحوال عن هذا الصنف من انتقام الله وعذابه في الدنيا ، فيقول الحق - عز وجل - :

﴿ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (١) .

وياقوة هذا العذاب ، وذلك الانتقام من المنافقين ، حين يبغى الله المنافقين بأولاد وبأموال تكون وبالأعلى عليهم في الدنيا والآخرة ، والله على كل شيء قدير .

٤- انتقام الله الفظيع : تحويل الكافرين والمكافرين إلى قردة :

وكانت هذه الحالة من العذاب الفظيع في إحدى قرى بنى إسرائيل ، والتي مكثت وتحملت على تحريم العمل والصيد في يوم السبت ، فانتقم الله منهم وحولهم جميعا إلى قردة ، ويا فظاعة غضب الله :

وفي ذلك يقول الحق - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (٢) .

ويواصل القرآن الكريم القصة الكاملة لهذه الحادثة التي تحول فيها أهل القرية الماكر أهلها إلى قردة ترعى في الجبال فقال - عز وجل - :

﴿ وَسَأَلْتُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ

(١) الآية ٨٥ من سورة التوبة .

(٢) الآية ٦٥ من سورة البقرة .

تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَفْهَمُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١﴾ .

٥- تبديل قول الله - عز وجل - :

وهذا الأمر من أشد الأمور التي يُعاقب الله - عز وجل - عليها عقاباً أليماً في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة ، وفي ذلك يورد لنا القرآن الكريم حديث أهل القرية ، الذين بدلوا كلام الله - عز وجل - فأنزل عليهم سخطه وعذابه في الدنيا فقال تعالى في محكم التنزيل : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَارِعُوا إِلَىٰ الْمَحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٢﴾ وقال عز وجل : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ ﴿٣﴾ .

٦- زوال النعم لعدم شكر الله وللکفر بآياته :

وفي ذلك العديد من المواقف التي ذكرها الله - عز وجل - في كتابه الكريم ، ومن ذلك :

قوله - عز وجل - : ﴿ وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا نَفَقَ فِيهَا وَهِىَ عَلَىٰ عُرُوشِهَا يَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ ﴿٤﴾ .

وبالطبع ، فهذه خاتمة لقصة الرجلين : الرجل الذي منحه الله جنتين من أعناب

(١) الآيات ١٦٣ - ١٦٦ من سورة الأعراف .

(٢) الأيتان ٥٨ ، ٥٩ من سورة البقرة .

(٣) الآية ١٦٢ من سورة الأعراف .

(٤) الآية ٤٢ من سورة الكهف .

محفوفتين بنخل ، وجعل بين النخل والعنب زرا مباركا ، وعندما سأله الرجل الآخر أن يشكر الله كفر بأنعم الله ، فعاقبه الله (كما توضح الآية الأخيرة من القصة المذكورة) بأن جعل هاتين الجنتين خاويتين على عروشهما ، وهذا ما يؤكد أن زوال النعم رهين بعدم شكر فضل الله علينا في هذه الأنعم .

٧. صورة أخرى :

وهناك العديد من الصور لا تنتقام الله وعذابه ، والتي لا يمكن حصرها في هذا المقام ، ولكن نتحدث عن أبرزها ، ونستعرض بعض صورها سريعا ، ومن خلال الآيات القرآنية الشريفة :

قال تعالى موضحا بعضا من تلك الصور : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ۖ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عُذْرًا ۚ وَأَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عُذْرًا ۚ يُبَيِّنُ ۖ ﴾ (١) .

﴿ ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۖ ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ ۖ ﴾ (٢) .
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ۖ ﴾ (٣) .

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۖ ﴾ (٤) .
﴿ أَيْوَدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ

(١) الآيات ٦٧-٦٩ من سورة الإسراء .

(٢) الآيات ١٦ ، ١٧ من سورة الملوك .

(٣) الآية ٣٦ من سورة ق .

(٤) الآية ١٣ من سورة فصلت .

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ
فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾

- ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ ۖ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ * نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢﴾
- ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنَا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ * فَأَنْظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَادِمْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣﴾ فَبِئْسَ بُيُوتُهُمْ
خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾

وغير ذلك من الآيات التي توضح جزاء الكافرين ، وجزاء أولئك الذين كفروا بأنعم
الله ، وهؤلاء الذين لم يشكروا أنعم الله على البشر ، وهؤلاء الذين حاربوا الله ورسله
وكانوا قوما ظالمين فاسقين ، أو منافقين أو مكذبين ...

كل هؤلاء حق عليهم عذاب الله - عز وجل - فحقا :

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا
لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ ﴿٤﴾

وحقاً ...

فمن عاد إلى المعصية فله عقاب شديد : ألا وهو انتقام الله - عز وجل - :

(١) الآية ٢٦٦ من سورة البقرة .

(٢) الآيتان ٢٣ ، ٢٤ من سورة لقمان .

(٣) الآيات ٥٠ - ٥٢ من سورة النمل .

(٤) الآية ٧٣ من سورة الحج .

﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ (١)
وَحَقًّا . .

فهذه بعض جوانب انتقام الله - عز وجل - وغضبه على الناس ، وذلك لعدم تقواهم ، فاتقوا الله أيها الناس ، واتقوا الله أيها المسلمون ، واتقوا الله يا أولى الألباب ، حتى لا يصيبنا عذاب الله وغضبه وانتقامه في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة !!!

(١) من الآية ٩٥ من سورة المائدة .

السبيل للنجاة من انتقام الله وغضبه علينا في الحياة الدنيا

بعد أن استعرضنا بعض صور وآيات انتقام الله وغضبه وعذابه في الدنيا ،
لبعض الكافرين والمنافقين والمكذبين والظالمين ، وبعد أن أغفلنا عمداً أولئك الناس
الذين آمنوا بالله - عز وجل - ولكنهم اتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين لعدم
وضوح نوعية العذاب الدنيوي الذي ينتظرهم، وذلك مصداقاً لقول الحق عز من
قائل:

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَةً وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى
اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝ (١) ﴾

وهناك سمة ظاهرة للضالين الذين يحق عليهم انتقام الله وسخطه وعذابه لهم في
الحياة الدنيا ، وتظهر هذه السمة في قول الحق - سبحانه وتعالى -:

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ
يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَلِكَ يَجْعَلُ
اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ (٢) ﴾ .

وانتقام الله - عز وجل - قد لا يصيب الظالمين والكافرين فقط إذا كانوا أغلبية طاغية

(١) الآية ٢٨ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ١٢٥ من سورة الانعام .

في المجتمع ، ولذلك فقد يشمل عذاب الله المؤمنين أيضا إذا لم يقوموا بواجبهم في الدعوة إلى سبيل الله وإلى توضيح التوحيد والإيمان والإسلام للكافرين ، وإذا لم يقوموا بواجبهم في النصيحة والدعوة إلى الله ، وقد يكون هذا العذاب تكفيرا عن ذنوب المؤمنين أو ابتلاء من الله لعباده المؤمنين ، وفي ذلك يقول الحق - عز وجل - :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ * وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَارزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ (١) .

ولذلك وجبت علينا الدعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا تصيبنا فتنة من الله - عز وجل - والفتنة ماهي إلا عذاب شديد وانتقام رهيب من الناس في الحياة الدنيا ، وابتلاء يظهر معادن الإيمان ، فإذا دعونا إلى سبيل الله نجانا الله من انتقامه وعذابه ، فالدعوة إلى الله والإيمان به من أهم سبل النجاة ، وفي ذلك يقول المولى - عز وجل - في كتابه الكريم :

﴿ وَبَحِّثْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (٢) .
أى أن التقوى شرط من شروط النجاة بعد الإيمان .
﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (٣) .
﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَا ﴾ (٤) .
﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ الشُّوءُ ﴾ (٥) .

(١) الأياتان ٢٥ ، ٢٦ من سورة الأنفال

(٢) الآية ١٨ من سورة فصلت .

(٣) الآية ١٠٣ من سورة يونس .

(٤) الآية ٧٢ من سورة مريم .

(٥) الآية ٦١ من سورة الزمر

وحقا ، يقول الحق :

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسَخَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٢).

فالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقوى الله من الحواجز الإلهية عن عذاب الله وغضبه وانتقامه الدنيوي للمؤمنين .

وحقا ...

فإن الله يُفَرِّق بين الحق والباطل ، إذا قام أهل الحق بواجبهم - الذي شرعه الله لهم - في الدعوة إلى الله ، فينصرهم الله بنصر من عنده ، وفي ذلك يقول السميع العليم :

﴿جَاءَهُمْ نَصْرٌ نَافِئٌ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٣).

وقبل الدعوة إلى الله ، يجب علينا أن نؤمن بالله إيماناً يقينياً وراسخاً يزيل الخوف من القلوب ، ويثبت بها اليقين الكامل بأنه لاخالق ولارازق ولا محيي ولا مميت ولا نافع ولاضار ولا عالم إلا الله عز وجل ، وأن نؤمن برسول الله أجمعين ، وبكتبه كلها ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، ونقيم حدود الله ونؤدى فروضه على الوجه الأكمل من صلاة وزكاة وصيام شهر رمضان ، وذلك كله لأن الله لم يخلقنا عبثاً إنما خلقنا لحكم بالغة ، قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٤).

فالسبيل الوحيد للنجاة من عذاب الله وانتقامه في الدنيا والآخرة هو الإيمان به

(١) الآية ١٠٤ من آل عمران

(٢) الآية ١٠٨ من سورة يوسف .

(٣) الآية ١١٠ من سورة يوسف .

(٤) الآية ٥٦ من سورة الذاريات .

حق الإيمان ، وبذل الغالى والنفيس فى سبيل الله ، وأغلى شيء يمكن بذله فى هذه الحياة الدنيا هو بذل جهد دنيوى مع تعب وعرق وجهاد فى سبيل الله ، وذلك من أجل تبليغ دعوة الله - عز وجل - إلى كافة الناس : للمسلمين بالنصيحة ، ولغيرهم بنية الهداية ، وكذلك يجب علينا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ...

ولذلك ، فتقوى الله واجبة فى السر والعلن ، ويجب علينا تقوى الله أينما كنا ؛ لأنه بتقوى الله ترقى القلوب ويزداد الإيمان ، وما أحلاه من إيمان وعمل .

فأوصيكم ، ونفسى بتقوى الله فى كل آن وحين .

فاتقوا الله أيها المسلمون .

واحذروا غضب الله وسخطه وبالتالي انتقامه منا فى الحياة الدنيا .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ

والحمد لله من قبل ومن بعد .

أما بعد

فالحمد لله الذى هدانا واصطفانا للإيمان ، وما كنا لنؤمن لولا أن هدانا الله .
والحمد لله فى الأول والآخر ، على نعمة التوفيق ، وعلى نعمة التبصير، وعلى نعمه
التي لا تحصى ولا تعد ، فهو القادر والظاهر والباطن العليم الحكيم .
وقد رأينا فى هذه الصفحات جوانب من الوصايا التي غطت كافة الموضوعات
الإنسانية التي تهتم المسلم ، والتي تحتاج إلى أجهزة كمبيوتر لفهرستها وتصنيفها
وتبويبها ، وما قرأناه ما هو إلا قبس يسير من نور الوصايا الإسلامية الرائعة .
وقد كانت هذه سياحة دينية رائعة فى خضم معركة النصح والإرشاد، والوصية
والوعظ، والخطب والحكم ، فى خضم خلاصة التنزيل وبلاغة الدعوة والتبليغ ،
وعمق الحكمة العلمية والعقلية ... إنها خلاصة الإسلام : دين الحق ودعوة
الإنسانية، ولو اتبعنا وصية واحدة منها لنجونا إن شاء الله من عذاب الدنيا وخزى
الآخرة .

والوصايا الإسلامية لا تنتهى بثلاثين آية قرآنية مباركة ، أو بنحو خمسين حديثا
شريفا لرسول رب العزة سيدنا محمد ﷺ أو بهائة وصية للخلفاء الراشدين والصحابه -
رضوان الله عليهم أجمعين- والتابعين -رحمهم الله- لأن كل آية قرآنية من آيات الذكر
الحكيم التي تزيد عن ٦٥٠٠ آية مباركة ، إنما هي وصية من الخالق البارئ واجبة
الاتباع ، وكل قول أو فعل أو تقرير لرسولنا الكريم - عليه الصلاة والسلام - هو
وصية واجبة الاتباع والنفاد ، وكذلك القول فى أقوال الصالحين والصحابه والتابعين ،
ولم لا ؟؟ والرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - يخبرنا أن خير القرون القرن الذى

عاش فيه - عليه الصلاة والسلام - ثم الذى يليه ، ثم الذى يليه ، وهكذا ، ولم لا ؟؟
والرسول المصطفى - عليه الصلاة والسلام - يوصينا (كما رأينا) بالحفاظ على سنته -
عليه الصلاة والسلام - وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده .

فهذه الحملة من الوصايا واجبة . . الاتباع لأنها عهد وإخلاص للذمة من قِبَلِ
من قالها ، حتى لا يكون للمسلمين حجة عند الله تعالى يوم الحساب .

وهذه الوصايا واجبة النفاذ فى كافة الأمور .

وأوصى نفسه ، وأوصى أخى المسلم القارىء الكريم بتقوى الله - عز وجل -
وذلك بأن يكتب الوصية الشرعية بخط يده ، كما هى موجودة بهذا الكتاب ،
ويضعها تحت وسادته ، حتى يُبرىء ذمته أمام الله عز وجل .

وأخيراً أعترف بالتقصير فى دعوة الحق : الدعوة إلى الله - عز وجل - الدعوة إلى
سبيل الله - جل فى علاه - وأدعو الله - عز وجل - أن يهبنا القوة لتوصيل رسالته إلى
العالم أجمع . هذا ، وما أصبت فمن الله ، وما أخطأت فمن نفسى والشيطان .

ولله الحمد من قبل ومن بعد ...

المؤلف

قائمة بأهم المراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- أبو بكر الجزائري (منهاج المسلم) جدة ، دار الشروق ، ط ١١ ، ١٤١٢ هـ .
- ٣- أبو بكر الجزائري (العلم والعلماء) جدة ، دار الشروق ، ط ٣ ، ١٩٨٦ م .
- ٤- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (صحيح البخارى) بيروت ، الطباعة المنيرية وعالم الكتب ، بدون تاريخ .
- ٥- البخارى (الأدب المفرد) الرياض ، دار الحانى ، ١٤٠٩ هـ .
- ٦- أبو حامد الغزالى (إحياء علوم الدين) طبعتان : المكتبة التجارية الكبرى ، عالم الكتب ، القاهرة ، بدون تاريخ
- ٧- أبو الحسن الماوردى (أدب الدنيا والدين) ، تحقيق مصطفى السقا ، الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة ، بدون تاريخ .
- ٨- أبو الحسين مسلم القشيري (صحيح مسلم) بشرح النووى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ٩- أبو الحسن الندوى (مختارات من أدب العرب) جدة ، دار الشروق ، ١٩٨٦ م ، ط ٣
- ١٠- أبو زكريا يحيى بن شرف النووى (رياض الصالحين) تحقيق شعيب الأرنؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢ هـ ، ط ٢٠ .

- ١١ - أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي (سنن أبي داود) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، بيروت ، المكتبة العصرية ، بدون تاريخ .
- ١٢ - ابن خلدون (المقدمة) طبعان : المكتبة التجارية الكبرى ، دار الشعب (دون تاريخ) .
- ١٣ - ابن منظور (لسان العرب) دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ .
- ١٤ - إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي (التنشئة السياسية للطفل) القاهرة ، هيئة الاستعلامات ، ١٩٨٨ م .
- ١٥ - أمين الساعاتي (الرياضة عند العرب) جدة ، تهامة للنشر ، ط ١ ، ١٩٨٢ م .
- ١٦ - تقرير المجلس القومى للثقافة (دور وسائل الإعلام فى التنشئة الاجتماعية) القاهرة ، ١٩٨٦ م .
- ١٧ - الحافظ أبو فرج بن رجب (اختيار الأولى فى شرح حديث اختصاص الملاء الأعلى) الطائف ، مكتبة المؤيد ، ١٤٠٥ هـ .
- ١٨ - الحافظ ابن كثير (قصص الأنبياء) المنصورة ، دار اليقين ، بدون تاريخ .
- ١٩ - الحافظ ابن كثير (تفسير ابن كثير) بيروت ، دار القلم ، ج ٤ ، بدون تاريخ .
- ٢٠ - حامد ربيع (نظرية القيم السياسية) القاهرة ، نهضة الشرق ، ١٩٧٤ م .
- ٢١ - زيدان عبد الباقي (علم النفس الاجتماعى) القاهرة ، النهضة العربية ، ١٩٧٦ م .
- ٢٢ - سعيد إسماعيل على (الفكر التربوى العربى الحديث) الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، مايو ١٩٨٧ م .
- ٢٣ - عبد العزيز بن عبد الله بن باز (فتاوى وتنبهات ونصائح) القاهرة ، مكتبة السنة ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ .
- ٢٤ - عبد الله بن جار الله إبراهيم الجار الله (كلمات مختارة : عقائد، أحكام ، مواظ) مطابع النصر الحديثة ، الرياض ، ١٣٩٨ هـ .

- ٢٥- عبد الله شحاتة (علوم الدين الإسلامى) القاهرة ، هيئة الكتاب ، ١٩٨١ م .
- ٢٦- عبد الله بن ناصح علوان (تربية الأولاد فى الإسلام) القاهرة ، دار السلام ، ١٤١٠ هـ ، ط ١٧ .
- ٢٧- عبد الوهاب النجار (الخلفاء الراشدون) بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٩٨٧ م .
- ٢٨- عفيف طبارة (روح الدين الإسلامى) بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٢٧ ، ١٩٨٨ م .
- ٢٩- عمرو بن بحر الجاحظ (البيان والتبيين) تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت ، دار الفكر ، بدون تاريخ .
- ٣٠- محمد بن جميل زينو (مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع) جدة ، مكتبة العلم ، بدون تاريخ .
- ٣١- محمد بن عبد الرحمن الخميس (اعتقاد الأئمة الأربعة) الرياض ، دار العاصمة ، ١٤١٢ هـ .
- ٣٢- محمد عقله (تربية الأولاد فى الإسلام) عمان ، مكتبة الرسالة الحديثة ، ١٤١٠ هـ .
- ٣٣- محمد على الصابونى (تفسير جزء عم) سلسلة مع أعلام المفسرين ، جدة ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، ١٤٠٢ هـ .
- ٣٤- محمد فؤاد عبد الباقي (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) ، استانبول ، تركيا ، ١٩٨٤ م ، المكتبة الإسلامية .
- ٣٥- المعجم الوسيط ، طبعان ، إدارة التراث الإسلامى بدولة قطر، بدون تاريخ ، إبراهيم أنيس وآخرون ، دار إحياء التراث العربى ، القاهرة ، بدون تاريخ .

المحتويات

٧	- أما قبل .
١١	- الفصل الأول : أصول الوصايا الإسلامية :
١٣	أولاً : الوصايا في اللغة والقرآن الكريم
٢٠	ثانياً : وصايا قرآنية مباركة
٤٠	ثالثاً : وصايا إسلامية خالدة للمصطفى عليه الصلاة والسلام .
٦٥	- الفصل الثاني : وصايا إسلامية من الصالحين والصحابه والتابعين :
٦٧	أولاً : وصايا خالدة للخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم .
٩٦	ثانياً : وصايا ثمينة للصحابه رضوان الله عليهم ، والتابعين رحمهم الله
١٢٨	ثالثاً : وصايا للدعاة المعاصرين .
١٤٣	- الفصل الثالث : وصية إسلامية خالدة :
١٤٥	« اتقوا الله عز وجل واحذروا غضبه وانتقامه »
١٤٧	أولاً : استهلال .
١٤٨	ثانياً : أسباب الغضب والانتقام .
	ثالثاً : صور من انتقام الله - عز وجل - وغضبه على المكذبين لرسله
١٥٥	وعذابه لهم في الحياة الدنيا .
١٧٠	رابعاً : صور أخرى لانتقام وعذاب الله تعالى في الدنيا
١٨٩	

خامساً : السبيل للنجاة من انتقام الله - عز وجل - وغضبه علينا

١٧٩ في الحياة الدنيا

١٨٣ أما بعد

١٨٥ قائمة بأهم المراجع

الأوامر النبوية في الوصايا الإلهية

كتاب مهم لكل مسلم ومسلمة... فهذا الكتاب يتناول وصايا رب العزة سبحانه وتعالى ووصايا رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم ووصايا الخلفاء والصحابة الأبرار رضوان الله عليهم أجمعين ، ووصايا التابعين الصالحين التي تنير لنا الطريق وترشدنا إلى السعادة في الدنيا والآخرة .

ويتضمن الكتاب الوصية التي يجب ألا ينام المؤمن ليلة واحدة دون أن يكتبها ويضعها تحت وسادته كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . إن هذا الكتاب سياحة دينية رائعة في مختلف جوانب الحياة ، وبه الوصايا العديدة التي لا بد أن نتمسك بها ونعمل بنصوصها العظيمة من أجل الحاضر المشرق والمستقبل الزاهي .

الناشر

دار المحمدية للكتاب

١٦ عبد الحافظ لثروت - تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥٠

٣٩٢٦٧٤٣ - فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ - ص ب : ٢٠٢٢

برقيا دار شادو - القاهرة .